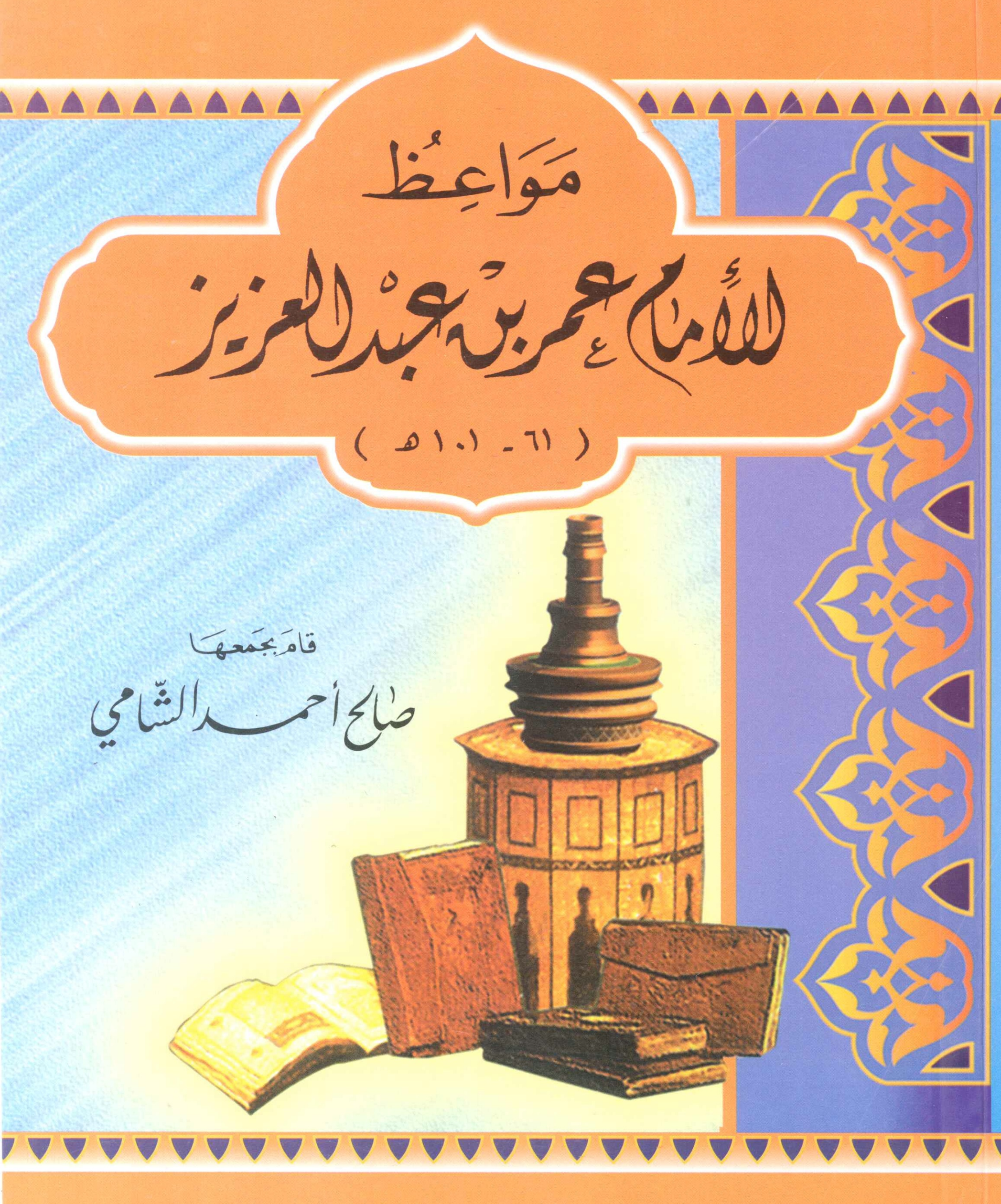


مَوَاعِظُ الإمام عمر بن عبد العزيز

(٦١ - ١٠١هـ)

قام بجمعها

صالح أحمد الشّامي

المكتب الاسلامي

معالم في التربية والدعوة

مواعظ
الإمام عمر بن عبد العزيز

(٦١ - ١٠١ هـ)

قام بجمعها
صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فهذا كتاب آخر في سلسلة «معالم في التربية والدعوة».

وقد يستغرب بعضهم أن يكون الإمام عمر بن عبد العزيز واحداً من أعلام هذا الموضوع، فقد عرفه الناس: خليفة.

وعرفوه خليفة راشداً، وخليفة عادلاً، وخليفة ورعاً، وخليفة زاهداً. ولا شك بأن جميع ذلك كان بعض صفات عمر.

ولكن هذا وإن طغى على ما عرف به هذا الخليفة الراشد، فإنه لا يلغي ما تمتع به من صفات فذة ومواهب كريمة.

وإذا كان الناس قد اعتادوا أن تكون الموعظة من عمل العلماء، فإن عمر بن عبد العزيز واحداً منهم، بل كان من أبرز علماء طبقته.

وقد جاء العلماء إليه بعد توليه الخلافة ليرشدوه ويعلموه، فوجدوا أنفسهم تلامذة بين يديه، كما قالوا.

وجاؤوا ليعظوه، فاستمع منهم، ووعظهم، فكانت مواعظه أبلغ وأشد تأثيراً.

والأخبار كثيرة جداً، في مواعظه التي بكى فيها وأبكى، وهو في خوفه كصاحبه الإمام الحسن البصري، حتى قال مزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما[1].

وقد بلغ من تأثير موعظته أن كتب رسالة إلى عامل له يقول فيها:

يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد بك، وانقطاع الرجاء منك.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٩٨.

فلما قرأ العامل الرسالة، ما كان منه إلا أن طوى البلاد، حتى قدم على عمر، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله تعالى[1].

كانت مواعظه ـ رضي الله عنه ـ تخرج من قلب عمره الإخلاص، فتصل إلى القلوب مليئة بحرارة الإيمان فيكون لها ذلك التأثير العظيم.

والموعظة قد تكون مشاهدة وقد تكون مسموعة.

والموعظة المشاهدة: هي المستفادة من فعل الواعظ وسلوكه العملي، فلسان الحال أفصح من لسان المقال. وبهذا يكون الواعظ قدوة ومثالاً تطبيقياً، وهو النوع الأمثل في الوعظ.

وأما الموعظة المسموعة. فهي التي يمثلها القول من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح والتوجيه..

وقد كان عمر بن عبد العزيز الرائد المجلي في الجانبين معاً.

---

(١) البداية والنهاية ٢٠٨/٩.

وفي هذا الكتاب سنقتصر على الموعظة المسموعة، لأن حديثنا عن النوع الأول يخرج بنا إلى الحديث عن سيرة عمر كاملة، الأمر الذي يخرج عن خط هذه السلسلة المخصصة للمواعظ.

هذا وأرجو الله تعالى أن يكون في جمع هذه المواعظ الخير الذي يأخذ بأيدينا إلى الصواب. ويجعلنا في عداد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صفر ١٤١٨هـ

حزيران ١٩٩٧

صالح أحمد الشامي

ترجمة
عمر بن عبد العزيز

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص، القرشي الأموي، يكنى أبا حفص[١].

أمه: أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، واسمها: ليلى.

ولد بالمدينة سنة إحدى وستين.

تولى أبوه عبد العزيز إمرة مصر سنة خمس وستين، من قبل أبيه مروان.

واستدعى عبد العزيز امرأته وابنها عمر لتلحق به إلى مصر، فاقترح خاله عبد الله بن عمر أن يبقى الغلام

---

(١) ليس من مهمة هذه السلسلة ترجمة أعلامها ترجمة وافية، وإنما ذكر الخطوط الرئيسة التي تلقي الضوء على المترجم له.

في المدينة، ووافق والده، وأوصى به أخاه عبد الملك بن مروان، وأجرى عليه ألف دينار كل شهر.

ثم قدم عمر على أبيه بمصر فأقام عنده فترة من صباه.

واقترح عمر بعد ذلك على والده أن يرحله إلى المدينة ليقعد إلى علمائها وفقهائها، ويتأدب بآدابهم.

وبعث عبد العزيز بابنه إلى المدينة وكتب إلى صالح بن كيسان أن يتعاهده. وكان صالح يُلزِمه أن يصلي في المسجد، فأبطأ يوماً عن الصلاة، فقال له: ما حبسك؟ قال: كانت مرجلتي تسكن شعري، فقال: بلغ بك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة؟! وكتب إلى والده عبد العزيز بذلك، فبعث إليه عبد العزيز رسولاً، فلم يكلمه حتى حلق شعره.

ولما حج عبد العزيز عرج على المدينة ليطمئن على ولده، فسأل صالحاً عنه، فقال: ما خبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام.

وكان يتردد كثيراً على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وكان يقول: لمجلس من مجالسه أحب إلي من ألف دينار.

وبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً، فلما أتاه عمر، أعرض عبيد الله عنه وقام يصلي، فجلس عمر ينتظره، فلما سلم أقبل على عمر مغضباً، وقال له: متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ ففهمها عمر، وقال: معذرة إلى الله ثم إليك، والله لا أعود. فما سُمِعَ بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير.

وهكذا نشأ في ظل حلقات العلم، وقد كان يقعد مع مشايخ قريش، ويتجنب شبابهم، وما زال كذلك حتى اشتهر ذكره.

ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، جعل لعمر بن عبد العزيز ولاية المدينة ومكة والطائف. واستمرت هذه الولاية من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين، وسنة تسعين، وسنة ثنتين وتسعين.

ولما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة والياً عليها، دخل الناس فسلموا عليه، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة هم:

عروة بن الزبير.

وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث.

وأبو بكر بن سليمان بن حثمة.

وسليمان بن يسار.

والقاسم بن محمد.

وسالم بن عبد الله بن عمر.

وعبد الله بن عبد الله بن عمر.

وعبد الله بن عامر بن ربيعة.

وخارجة بن زيد بن ثابت.

فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم من عامل لي ظلامة، فأحرِّج بالله على أحد بلغه ذلك إلا أبلغني.

فجزوه خيراً وافترقوا.

وولَّى قضاء المدينة أبا بكر بن حزم، أحد الأئمة الأثبات، وأعلم أهل زمانه بالقضاء.

وفي ظل هذا التعاون بين الوالي وبين العلماء والفقهاء، سارت الأمور على خير ما يرام وأخذت عملية الإصلاح طريقها إلى شتى ميادين الحياة.

واستمرت ولاية عمر حتى عام ثلاث وتسعين للهجرة. ويروي ابن كثير خبرين في سبب إنهاء ولايته:

الأول: أن عمر بن عبد العزيز ضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً ـ بأمر الوليد له في ذلك ـ وصب فوق رأسه قربة من ماء بارد، في يوم شات بارد، وأقامه على باب المسجد ذلك اليوم، فمات رحمه الله.

وكان عمر بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن، وكان إذا بشِّر بشيء من أمر الآخرة يقول: كيف وخبيب لي بالطريق..

وما زال والياً إلى أن ضرب خبيباً فمات فاستقال وركبه الحزن والخوف..[1].

---

(١) البداية والنهاية ٩/٩٦ وكان خبيب بن عبد الله بن الزبير أكبر أولاد عبد الله، وكان من النساك، قد لقي العلماء. ويذكر في سبب ضربه: أنه حدث عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلًا، اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولاً) سيرة عمر بن عبد العزيز ص٢٦.

الثاني: أن عمر كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشمه، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد: إن عمر ضعف عن إمرة المدينة ومكة وهذا وهن وضعف في الولاية، فاجعل على الحرمين من يضبط أمرهما[(١)]..

ولا مانع من اجتماع الأمرين، فربما طلب الحجاج ذلك، ثم جاءت قضية خبيب فكانت السبب المباشر.

وخرج عمر عائداً إلى الشام..

ولما خرج من المدينة التفت إليها وبكى، وقال لمولاه: يا مزاحم، نخشى أن نكون ممن نفت المدينة[(٢)].

وعاش في دمشق قريباً من العلماء مناصحاً للحكام..

---

(١) البداية والنهاية ٩/٩٨.

(٢) هذا إشارة إلى الحديث الشريف المتفق عليه (إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها).

ولما مرض سليمان بن عبد الملك أشار عليه رجاء بن حيوة أن يكون الخليفة بعده عمر بن عبد العزيز.. وتم ذلك كما هو معروف.

وتولى الخلافة سنة تسع وتسعين بعد موت سليمان.. فأقام العدل وأمن الناس على دمائهم وأموالهم في طول البلاد وعرضها.. حتى أضحى عهده ـ بعد الخلفاء الراشدين ـ مضرب المثل في ذلك.

ولم تطل مدة خلافته، فقد مات مسموماً في دير سمعان من أعمال دمشق يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رجب عام ١٠١هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر. رحمه الله[(١)].

---

(١) مرجع هذه الترجمة البداية والنهاية ٩/ ٢١٤ ـ ٢٤٤ وحلية الأولياء ٩/ ٢٥٣ ـ ٣٥٢.

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي. وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤.

عمر بن العزيز العالم

إذا ذكر عمر بن عبد العزيز تبادر إلى الذهن وارتسم في المخيلة مباشرة شخصية الخليفة العادل الذي استطاع في مدة وجيزة أن يضع الدولة الإسلامية المترامية الأطراف على المحجة البيضاء وأن يقضي على الظلم ويزيل آثاره.

وأن يؤكد قابلية الإسلام للتطبيق في كل وقت عندما يوجد الرجل الصالح.. لا كما يدعي بعضهم من أن الإسلام لم يطبق إلا في عهد الخلافة الراشدة.

ولهذا المعنى.. أضحى عمر بن عبد العزيز استمراراً للخلافة الراشدة بعد فاصل زمني استمر قرابة ستين عاماً.

وأول من قال ذلك وأعلنه، الإمام سفيان الثوري. الذي كره الظلم وتجرع كؤوسه معظم حياته حتى مات مختفياً غريباً.. قال أئمة العدل خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي وعمر بن عبد العزيز

رضي الله عنهم. من قال غير هذا فقد اعتدى[1].

ثم تبعه في ذلك الإمام الشافعي.. ثم عم القول جميع الأمة.. وأصبح عمر الخليفة الخامس.

وإذا كانت صفة العدل قد تقدمت غيرها من صفات عمر، لما كان لها من أثر بالغ على حياة الأمة، فإن بقية الصفات من التقوى والورع والزهد والعلم.. لم تغب تحت وهج صفة العدل. بل ظل عمر يذكر عندما يذكر الزهد، ويذكر عندما يذكر الورع، ويذكر إذا ذكرت التقوى. وسيرته ـ رحمه الله ـ مليئة بأخباره في هذا وفي غيره من صفات الاستقامة. والذي يهمنا في هذه الفقرة التذكير بأن هذا الرجل الكبير لولا ما شغل به من الولاية والخلافة لكان علماً من أعلام المسلمين، علماً وفقهاً وتأصيلاً.. ولكن اشتغاله بذلك. جعل شهرته بالعلم تكون وراء شهرته بالعدل، ومع ذلك فهو من علماء هذه الأمة الكبار.

فهو أشبه الناس صلاة بصلاة رسول الله ﷺ كما يقول أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ. وهذا لا يكون إلا بفقه وعلم.

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٨.

وقد أسند حديث رسول الله ﷺ عن ثمانية من الصحابة، وعن خمسة وعشرين من التابعين ويقول عن نفسه متحدثاً بنعم الله عليه: خرجت من المدينة وما من رجل أعلم مني، فلما قدمت الشام نسيت[1].

ويقول للإمام الزهري وقد حدثه ليلة: كل ما حدثته الليلة فقد سمعتُه ولكنك حفظت ونسينا[2].

قال عبيد الله بن عبد الله: كانت العلماء عند عمر بن العزيز تلامذة. وهي شهادة من أستاذه، لها معناها الكبير.

وقال ميمون بن مهران: أتينا عمر بن العزيز، فظننا أنه يحتاج إلينا، وإذا نحن عنده تلامذة.

وقال مجاهد: أتينا عمر نعلمه، فما برحنا حتى تعلمنا منه.

وقال ميمون بن مهران: كان عمر بن عبد العزيز يعلِّم العلماء[3].

وهذه الأقوال من هؤلاء الأعلام وغيرهم، كافية في إلقاء الضوء على مكانته العلمية رحمه الله تعالى.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢١.

(٢) المصدر قبله ٥/ ١٢١.

(٣) هذا القول وما قبله عن حلية الأولياء ٥/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

محاور الوعظ عند عمر

نستطيع إجمال أبرز المحاور التي سارت فيها اهتمامات الخليفة عمر بن عبد العزيز بالأمور الآتية:

١ ـ التزام الكتاب والسنة:

وهو ـ رحمه الله ـ يلحُّ على هذا الأمر في كل مناسبة، في أقواله وخطبه ورسائله.

ففي رسالته إلى أحد عماله يقول:

«فإني أوصيك بتقوى الله، واتباع سنة رسوله، والاقتصاد في أمره، وترك ما أحدث المحدثون بعده، فمن قد حارب سننه..».

وفي رسالته إلى عدي قال:

«إن للإسلام فرائض وسنناً وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان..».

وفي موقف مع هشام بن عبد الملك قال هشام:

إنا والله لا نعيب آباءنا، فقال عمر: «وأي عيب أعيب مما عابه القرآن»؟

وحينما أتى بسجلات أملاك بني أمية ليحاسبهم.. قال:

«فإني وجدت كتاب الله الأقدم، فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي، في مالي وفيما سبقني».

والتزام السنة يقتضي اجتناب البدع، وهذا أمر لازم، يقول في رسالة إلى عامل:

«ثم اعلم أنه لم تكن بدعة، إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها، فعليك لزوم السنة، فإنه إنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل والحمق والخطأ..».

٢ ـ الخوف من الموت والاستعداد له:

وهذه قضية أخذت مساحة واسعة من أقواله ووصاياه، بل وشغلت باله واستأثرت بهمِّه، فقد وضع أمر الموت بين عينيه دائماً، فعند كل شيء للموت مناسبة وذكر.

فقد جاءه عنبسة بن سعيد يستأذنه باللحاق بضيعته

لتحصيل قوت عياله بعد انقطاع أعطيات بيت المال. فيأذن له ويقول: أبا خالد. أكثر من ذكر الموت، فإنه إن كنت في ضيق من العيش وسعه..

وفي رسالة لبعض عماله قال:

«إنك إذا استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك، بغضَ إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باقٍ».

ويقول: «احذروا الموت، فإنه أشد ما قبله، وأهون ما بعده».

وفي رسالة إلى عدي يقول: «فإني أذكرك ليلة تمخَّض بالساعة، فصباحها القيامة، يا لها من ليلة...».

وفي رسالة أخرى لبعض عماله: «فإنه من أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا باليسير...».

ويقول: «إنما أنتم سُفْر، تحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار..».

وهو عندما يعزي بميت يقول: «العجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت..».

لقد بات ذكر الموت اللازمة المتكررة في حياة عمر، فهو يعظ نفسه به، ويعظ عماله.

ولا شك بأن ذكر الموت، منغص من منغصات الحياة الدنيا، ولكنه ذو مردود كبير في تربية السلوك، والمساعد الأول في الاستقامة مع أوامر الله تعالى. لأنه يضع الدنيا في إطارها الصحيح، وعندها فلن يغترّ بها مغترّ.

وهكذا كان عمر يحب لنفسه ولمن يحب أن يكونوا على ذكرٍ للموت.

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنه إحدى مهمات الأنبياء، وفي مقدمة وظائف العلماء.

ورسائل عمر وخطبه مليئة بهذا الواجب والتذكير به.

وله مواقف كثيرة في مواجهة الخلفاء والولاة كانت تجعله بعض الأحيان في حال من الفزع والخوف على حياته.

عن الزهري قال: قال عمر بن عبد العزيز: بعث إليَّ الوليد ذات ساعة من الظهيرة، فدخلت عليه، فإذا هو عابس، فأشار إليَّ أن اجلس، فجلست، فقال: ما تقول فيمن يسب الخلفاء؟ أيقتل؟ فسكتُ، ثم عاد

فسكتُ، ثم عاد فقلتُ: أَقَتَلَ يا أمير المؤمنين؟ قال لا، ولكن سبٌّ، فقلت ينكل به، فغضب وانصرف إلى أهله، وقال لي ابن الريان السياف: اذهب. قال: فخرجت من عنده، وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردني إليه[1].

وقد عرف موقفه هذا، أنه لا يرى القتل إلا فيما يستوجب القتل مما شرع الله تعالى، وقد كان عمر ينهى سليمان عن قتل الحرورية ويقول: ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة. فأتي سليمان بحروري مستقتل، فقال له سليمان: هيه؟ قال: إنه نزع لحييك يا فاسق ابن الفاسق. فقال سليمان: عليَّ بعمر بن عبد العزيز.

فلما أتاه عاود سليمان الحروري فقال: ماذا تقول؟ قال: وماذا أقول يا فاسق ابن الفاسق. فقال سليمان لعمر: ماذا ترى عليه يا أبا حفص؟ فسكت عمر، فقال: عزمت عليك لتخبرني ماذا ترى عليه؟ قال: أرى عليه أن تشتمه كما شتمك، وتشتم أباه كما شتم أباك. فقال سليمان: ليس إلا ذا؟! فأمر بضرب عنقه.

وقام سليمان وخرج عمر، فأدركه خالد بن الريان

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢١٨.

صاحب حرس سليمان فقال: يا أبا حفص، تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك وتشتم أباه كما شتم أباك؟ والله لقد كنت متوقعاً أن يأمرني بضرب عنقك!! قال عمر: ولو أمرك فعلته؟ قال: إي والله، لو أمرني فعلت[1].

هذا مسلك عمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الحق قبل أن يتولى الخلافة، فلما آلت إليه، تحولت هذه الأوامر إلى التطبيق العملي فيما يقدر عليه. وكانت رسائله تصل إلى جميع آفاق ديار المسلمين آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر موكلة إلى الولاة تنفيذ ما ورد فيها.

فمن ذلك ما كتبه إلي عدي بن أرطأة: بلغني أنك تستن بسنة الحجاج، فلا تستن بسنته، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها، وكان لما سوى ذلك أضيع[2].

وكان بابه وصدره مفتوحاً لكل ناصح، فكان بذلك من أئمة العدل رحمه الله.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٩.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣٤٥.

٤ ـ إقامة العدل ومنع الظلم:

هذه القضية من الأمور الكلية التي يجعلها الإسلام من أولوياته التي يسعى إلى إقامتها في واقع الحياة. ولقد كان رسول الله ﷺ يقيد من نفسه، تطبيقاً لذلك، وتعليماً للناس أنه لا فرق في ذلك بين غني وفقير، وعظيم وحقير، وكبير وصغير. إنه شرع الله.

وعمر بن عبد العزيز العالم الفاضل، والزاهد الخاشع، كان يولي هذا الأمر اهتمامه تطبيقاً عندما كان والياً على المدينة، ونصيحة وتذكيراً فيما سوى ذلك.

وقد كان يكره الظالمين والظلمة، ويعلن ذلك، ويعرف منه ذلك.

قال مرة: الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرة بن شريك بمصر، امتلأت الأرض ـ والله ـ جوراً.

وصادف أن كان في فترة من الزمن والياً على المدينة والحجاج والياً على العراق.

فكان الذين يفرون من ظلم الحجاج يأتون إلى المدينة فيستقرون آمنين بل ربما التقوا بعمر فوجدوا

عنده كل إكرام وترحيب. الأمر الذي كان ينغص على الحجاج أمره.

وقد قصد الحجاج الحج في إحدى السنوات التي كان عمر فيها أميراً على المدينة، فلما علم عمر بذلك أرسل إلى أمير المؤمنين الوليد يسأله أن يأمر الحجاج ألا يذهب إلى المدينة ولا يمرَّ بها، فلبى الوليد طلبه وأرسل إلى الحجاج: إن عمر بن عبد العزيز كتب إلي يستعفيني من ممرك عليه بالمدينة، فلا عليك ألا تمرَّ بمن يكرهك، فنحِّ نفسك عن المدينة[1].

وما ذاك إلا كراهة لظلم الحجاج.

ولما آلت إليه الخلافة، رفع كل ظلم وصل إلى علمه مما هو معلوم من سيرته. ليس هذا فحسب، بل كفَّ أيدي الظلمة[2].

---

(١) عمر بن عبد العزيز، لعبد الستار الشيخ ص١٧٥.

(٢) ومن ذلك ما أورده ابن أبي الحكم في سيرة عمر أنه حينما ولي الخلافة وبعد دفنه لسلفه سليمان كتب ثلاثة كتب فأمضاها من فوره:

الأول: أمر فيه مسلمة بالقفول من القسطنطينية. وكان سليمان قد غضب عليه لفشله في فتحها، فحلف أن لا يقفله منها ما=

ومن ذلك، أن خالد بن الريان الذي كان على حرس الوليد وعبد الملك.. جاء يوم تولَّى الخلافة عمر ليقوم مقام صاحب الحرس. فقال له عمر: يا خالد، ضع هذا السيف عنك. وقال: اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان فلا ترفعه أبداً[1].

= دام حياً، فاشتد عليهم المقام حتى جاعوا وأكلوا الدواب من الجهد والجوع.

الثاني: كتب بعزل أسامة بن زيد التنوخي، وكان على خراج مصر، وأمر به أن يحبس في كل جند سنة، ويقيد ويحل من القيد عند كل صلاة ثم يرد في القيد.

وكان غاشماً ظلوماً معتدياً في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل، يقطع الأيدي في خلاف ما يؤمر به، ويشق أجواف الدواب، فيدخل فيها القطاع ويطرحهم للتماسيح.

فلما مات عمر أعاده يزيد على عمله.

الثالث: كتب بعزل يزيد بن أبي مسلم عن إفريقية، وكان عامل سوء، يظهر التأله والنفاذ لكل ما أمر به السلطان، مما جل أو صغر من السيرة بالجور، والمخالفة للحق، وكان في هذا يكثر الذكر والتسبيح. ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون وهو يقول: سبحان الله، والحمد لله، شدَّ يا غلام موضع كذا وكذا، لبعض مواضع العذاب، وهو يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، شد يا غلام موضع كذا وكذا.. فكانت حالته تلك شر الحالات.

[سيرة عمر لابن عبد الحكم ص٣٢ ـ ٣٣].

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٩.

وعمر لا يجد حرجاً في وصف من سبقه بالظلم، كما جاء ذلك في رسالته إلى عمر بن الوليد.

ويذهب إلى أبعد من هذا، حينما أوضح في خطبة له مفهوم العصيان الذي يوصف به عادة الذين يطالبون بالحق من الرعية أو من العلماء فيقول:

ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامِه: العاصي، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمامُ الظالَم.

أجل - والله - إنها كلمة الفصل في هذا الموضوع.

إن إمعان من سبقه بالظلم جعل عبأه كبيراً، ذلك أنهم ظنوا أن توطيد الحكم لا يكون إلا بالقسوة والظلم، وجاء عمر لينقض هذا المفهوم، ويقيم الدولة بالعدل وردّ تلك المظالم، حتى قال لابنه: أما يرضيك أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا، إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة..

ولا شك بأنه كابد من المشقات الكثير في سبيل إقامة هذا الركن واقعاً عملياً في دنيا الناس، وقد أقامه.

٥ ـ الحكمة في سياسة الأمور:

لا تكفي الرغبة الصادقة من الحاكم في إقامة العدل. لإيجاد هذا العدل، بل لا بد من حنكة وسياسية وأناة وترتيب الأولويات حتى يستطيع الوصول إلى غايته.

وهذا ما فعله الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.

فقد كان ترتيب الأولويات يقتضي أن يحاسب نفسه وأهل بيته الأدنين، فيردَّ الجميعُ ما بأيديهم من ظلامات، وقد فعل..

ثم فتح الباب إلى كل صاحب مظلمة.. وكان لا تأخذه في ذلك لومة لائم.

وكانت سياسته في ذلك كما شرحها لابنه عبد الملك:

إنما أروض الناس رياضة الصعب، إني لأريد أن أحيي الأمور من العدل، فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه..

وهكذا كان يتدرج شيئاً فشيئاً في إعادة الحق إلى واقع الحياة.

ويوضح ذلك لابنه وقد استعجله في عملية التغيير والإصلاح فيقول:

لا تعجل يا بني، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في المرة الثالثة. وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة، فيدفعوه وتكون فتنة.

وهكذا لم يكن من السهل إقامة العدل بين عشية وضحاها، وكان لا بد من الحكمة في استعمال الدواء، وتناول كل جرعة في حينها.

وقد حاول عمر محاسبة بني أمية على ما في أيديهم من أموال - غير ما ادعي عليهم من الظلامات - مما ادخروه من عطايا الخلفاء التي أعطيت لهم بغير حق، فكان ما كان.

فقد جمعهم ذات يوم وقال: يا بني مروان، إنكم أعطيتم حظاً وشرفاً وأموالاً إني لأحسب شطر أموال هذه الأمة، أو ثلثه في أيديكم. فسكتوا.

فقال عمر: ألا تجيبوني؟ فقال رجل من القوم: والله لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا..

فقال عمر: والله لولا أن تستعينوا عليَّ بمن أطلب هذا الحق له، لأصعرت خدودكم.

إنها كلمة بعيدة الغور، تدل على خبرة عمر في سياسية الأمور، ومعرفته بأماكن الضعف التي قد يؤتى منها الحاكم.

فكثيراً ما كان الضعفاء والمظلومون هم الجند الذي يدافع عن الظالمين ويحرسهم، ويؤمن لهم عملية استمرارهم في الغي والضلال.

تلك هي قولة عمر:

لولا أن تستعينوا عليَّ بمن أطلب هذا الحق له..

وإذا وصل الأمر إلى الصدام وإراقة الدماء ، فإن عمر يرى بمنظار الشرع أن حفظ الدماء مقدم على الحفاظ على الأموال.

وإذا وصل بنا الحديث إلى الدماء، فهي في نظر عمر، دونها خرق القتاد، فالدم المسلم لا يمكن إهداره إلا في ما شرع الله عز وجل. فليس هو نهبة لنزوة حاكم، أو تنفيساً عنه في وقت غضبه، كما كان الأمر في بعض من كان قبله.

ولما كتب له عاملان من عماله: أن الناس لا يصلحهم إلا السيف، كتب لهما:

خبيثين من الخبث.. تعرضان لي بدماء المسلمين؟! ما أحد من الناس إلا ودماؤكما أهون عليَّ من دمه.

وكتب له عامله على الموصل، بأن الموصل من أكثر البلاد سرقاً ونقباً، وسأله أن يأخذ الناس بالمظنة ويضربهم على التهمة.

فكتب إليه: أن يأخذ الناس بالبينة، وما جرت عليه السنَّة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله..

بهذا الأسلوب الحكيم استطاع عمر ـ رحمه الله ـ أن يعود بالناس إلى عهد الخلافة الراشدة، فيكون الشرع هو المحكم في كل صغيرة وكبيرة.

٦ ـ التوجيه إلى العقيدة الصحيحة.

من المعلوم أنه بعد الفتنة واختلاف الصحابة نشأت بعض الفرق التي عصفت بها الأهواء، فكانت سبباً في انحرافها عن الطريق الصحيح.

وقد حرص عمر بن عبد العزيز على الحوار مع هذه الفرق وإرشادها إلى الطريق الصحيح وقد ناقشهم وكتب إليهم.. وكان لذلك آثار طيبة.

على أننا نستطيع أن نسجل من توجيهاته ونصائحه في هذا الميدان أمرين:

الأول: حرصه على التمسك ببساطة العقيدة.

والرجوع بها إلى مصادرها الأولى: القرآن والسنة. بعيداً عما أحدثته تلك الفرق من فلسفات ومصطلحات. والمثال على ذلك أنه عندما سئل عن الأهواء قال: عليك بدين الصبيان.. فأرشد السائل إلى بساطة العقيدة والرجوع بها إلى الفطرة بعيداً عن الجدل.

الثاني: رضاه بالقضاء والقدر، والتسليم المطلق في هذا الميدان عقيدة وقولاً وسلوكاً. والخبر التالي مثال على ذلك.

قال الربيع: لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وسهل بن عبد العزيز ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة، دخل الربيع بن سبرة عليه وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحداً أصيبب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة. والله ما رأيت مثل ابنك ابناً، ولا مثل أخيك أخاً، ولا مثل مولاك مولى قط. فطأطأ عمر رأسه.. ثم رفعه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع: فأعدت عليه ما قلت أولاً.. قال: والذي قضى عليهم بالموت ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن[1].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٠.

وكان يقول: ما كنت على حالة من حالات الدنيا فسرني أني على غيرها.

وكان يقول: ما لي في الأمور هوىً، سوى مواقع قضاء الله فيها(١).

وهكذا كان في ظلال حال من الرضى والتسليم، خضعت لذلك عواطفه وأفكاره، رضي الله عنه.

٧ ـ تصحيح المفاهيم:

إن الخطأ عندما تمضي عليه السنون، وينشأ عليه الصغير، ويهرم فيه الكبير، يستقر لدى عامة الناس وكأنه مسلَّمة من المسلمات(٢).

وهذا ما دفع بعمر إلى التريث والأناة في محاسبة بني مروان على ما في أيديهم من أموال بيت المال وقال كلمته المشهورة:

---

(١) عمر بن عبد العزيز، لعبد الستار الشيخ ص١٢٢ عن تهذيب الأسماء واللغات، ٢/ ٢٣.

(٢) قال عمر بن عبد العزيز في هذا الصدد: ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفَصُح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره.
[ابن عبد الحكم ص٣٧].

والله لولا أن تستعينوا عليَّ بمن أطلب هذا الحق له، لأصعرت خدودكم.

لقد مضى على الناس أكثر من نصف قرن وهم يرون أن بيت المال بيد الخليفة يتصرف به كيف يشاء حتى لم يعد أحد يناقش بهذه القضية إلا العلماء الذين راقبوا الله في علمهم فتكلموا كلمة الحق..

وإزاء هذا الواقع كان لا بد من توعية الناس، وبيان الحق لهم، وهذا ما فعله عمر في كلماته وخطبه فبين أن مال بيت المال له مصارفه التي حددها الشرع، وليس للخليفة التصرف فيه كما يشاء.

وتلك كانت القضية الأولى التي سعى لبيانها وتصحيح مفهومها في أذهان الأسرة المالكة أولاً، ثم لدي بقية الناس.

وأبواب الخليفة مفتوحة لكل صاحب حق أو مظلوم أو ناصح بخير.

والعاصي ليس هو المسلم الهارب من إمامه الظالم، بل العاصي في هذه الحالة هو الظالم أي الخليفة أو الإمام، فهو أحق بهذا الاسم.

والناس في ظل شرع الله سواء..

وهكذا أخذ عمر بتصحيح تلك المفاهيم كبيرها وصغيرها، وأمر ولاته أن يحذوا حذوه، فاستيقظ الناس، واستروحوا نسيم العدل. وأصبح للمسلم كرامته، فيعزل قائد لأنه قال عن رجل مسلم استشهد في معركة: روجيل.

نكتفي بهذه المحاور، وما تفرع عنها كثير، سيجد القارئ أمثلتها خلال الصفحات التالية إن شاء الله تعالى.

طرق الوعظ وأساليبه
عند عمر

لا يملك العالم في وعظه سوى الكلمة التي يلقيها على سبيل النصح والإرشاد، وهذه الكلمة قد تجد الأذن الواعية التي تستفيد منها وتنصاع لها، وقد تجد الإعراض من أذن أخرى..

ولكن الخليفة عمر، كانت بيده السلطة، فتعددت أساليب الوعظ عنده بسببها، ونستطيع أن نعدُّ أربعة أنواع رئيسة لها.

١ ـ فمنها الأقوال التوجيهية التي شارك فيها جميع الواعظين من العلماء.

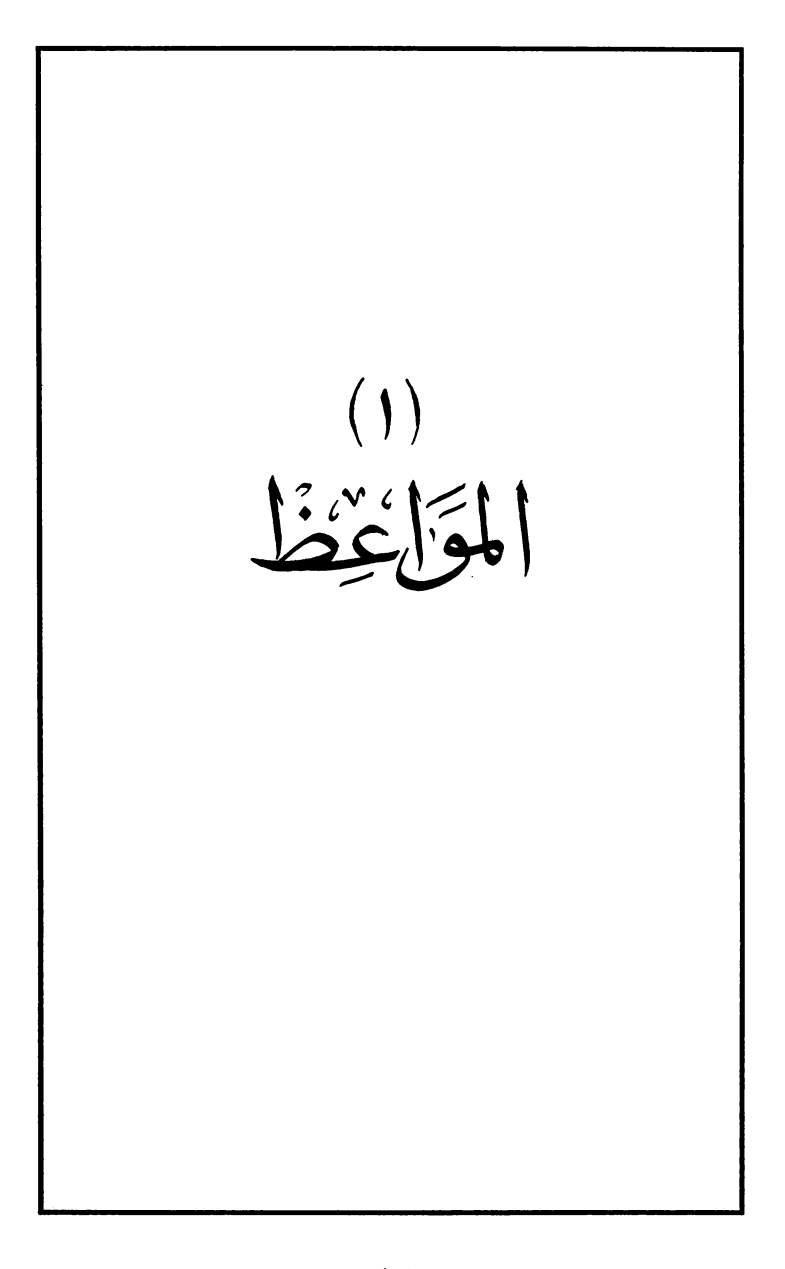
٢ ـ ومنها الخطب التي كان يلقيها في الجمع والأعياد والمناسبات، باعتباره إمام المسلمين، وكلها مواعظ وحكم.

٣ ـ ومنها الرسائل التي كان يرسلها إلى عماله

وولاته وغيرهم، في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، أو الوعظ والنصيحة..

٤ ـ ومنها المناظرات والمحاورات التي كانت تجري بينه وبين بعض الفرق، أو ممثليها، كالخوارج والحرورية، وكلها مليئة بالمواعظ والحكم.

وسوف أذكر نماذج لكل نوع من هذه الأنواع.


(١)
المَوَاعِظ

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

[سورة الحج]

أفضل العبادة

قال عمر:

الكلام بذكر الله حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة[1].

سكرات الموت

قال عمر:

ما أحب أن تهون علي سكرات الموت، لأنها آخر ما يكفَّر به عن المسلم[2].

دعاء بصلاح المسلمين

كان عمر يقول:

اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد، اللهم أهلك من كان في هلاكه صلاح لأمة محمد ﷺ[3].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣١٤.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣١٧.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٢٤.

كرامة المسلم

استعمل عمر جعونة بن الحارث على ملطية، فغزا فأصاب غنماً. ووفد ابنه إلى عمر، فلما دخل عليه وأخبره الخبر.

قال له عمر: هل أصيب من المسلمين أحد؟

قال: لا، إلا رويجل[1].

فغضب عمر وقال: رويجل!! رويجل!! مرتين. تجيئوني بالشاة والبقر. ويصاب رجل من المسلمين؟! لا تلي لي ولا أبوك عملاً ما كنت حياً[2].

لا تصحب

قال عمر:

لا تصحب من الأصحاب من خطرك عنده على قدر قضاء حاجته، فإذا انقضت حاجته انقطعت أسباب مودته، واصحب من الأصحاب ذا العلا في الخير، والإفاءة في الحق، يعينك على نفسه، ويكفيك مؤنته[3].

---

(١) رويجل: تصغير رجل. ولعل قوله هذا هو الذي أغضب عمر، وإلا فالغزو لا يستغرب فيه وقوع الشهداء.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٤.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٤٢.

القصد والعفو

صلى عمر بن عبد العزيز الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب. فلما انتهى من الصلاة، قال له رجل: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعطاك، فلو لبست؟!

فنكس ملياً، ثم رفع رأسه وقال:

أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة[1].

بقاء الدنيا قليل

قال عمر بعد انصرافه من تشييع جنازة:

ألا إن الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيها فقير، وشبابها يهرم، وحيُّها يموت.

فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها. والمغرور من اغترَّ بها.

أين سكانها الذين بنوا مدائنها، وشقوا أنهارها، وغرسوا أشجارها، وأقاموا فيها أياماً يسيرة، غرتهم بصحتهم، وغروا بنشاطهم، فركبوا المعاصي.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٦١.

إنهم كانوا ـ والله ـ في الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع عليه، محمودين على جمعه.

ما صنع التراب بأبدانهم، والرمل بأجسادهم، والديدان بعظامهم وأوصالهم؟

كانوا في الدنيا على أسرَّة ممهدة، وفرش منضدة، بين خدم يخدمون، وأهل يكرمون، وجيران يعضدون.

فإذا مررت فنادِهم إن كنت منادياً، وادعهم إن كنت لا بدَّ داعياً ومرَّ بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم التي كان بها عيشهم.

وسلْ غنيهم: ما بقي من غناه؟ وسل فقيرهم ما بقي من فقره؟ وسلهم عن الألسن التي بها كانوا يتكلمون، وعن الأعين التي كانت إلى اللذات بها ينظرون.

وسلهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان؟

محت الألوان، وأكلت اللحمان، وعفرت الوجوه، ومحت المحاسن، وكسرت الفقار، وأبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء.

وأين حجالهم وقبابهم، وأين خدمهم وعبيدهم، وجمعهم ومكنوزهم؟

والله ما زوَّدوهم فراشاً، ولا وضعوا هناك متكأ، ولا غرسوا لهم الأشجار ولا أنزلوهم من اللحد قراراً.

أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة.

فكم من ناعم وناعمة، أصبحوا ووجوههم بالية، وأجسادهم عن أعناقهم نائية، وأوصالهم ممزقة، وقد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً، ودبَّت دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضاءهم. ثم لم يلبثوا ـ والله ـ إلا يسيراً، حتى عادت العظام رميماً.

قد فارقوا الحدائق، فصاروا بعد السعة إلى المضايق.

قد تزوجت نساؤهم، وترددت في الطرق أبناؤهم، وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم.

فمنهم ـ والله ـ الموسع له في قبره، الغض الناضر فيه، المتنعم بلذته.

يا ساكن القبر غداً، ما الذي غرك من الدنيا؟ هل تعلم أنك تبقى، أو يبقى لك؟ أين دارك الفيحاء، ونهرك المطرد، وأين ثمرك الناضر ينعُه؟ وأين رقاق ثيابك، وأين طيبك وبخورك، وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟

أما رأيته قد نزل به الأمر، فما يدفع عن نفسه وجلًا، وهو يرشح عرقاً، ويتلمظ عطشاً، يتقلب في سكرات الموت وغمراته.

جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر والأجل ما لا تمتنع منه. هيهات هيهات.

يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخليه في القبر وراجعاً عنه، ليت شعري . . .

ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى، يا ليت شعري بأي خديك بدأ البلا. يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموتى.

ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند

خروجي من الدنيا، وما يأتيني من رسالة ربي[1].

ذكر الموت

قال جابر بن نوح: كتب عمر إلى بعض أهل بيته.

أما بعد: فإنك إذا استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك، بغض إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باق والسلام[2].

أحبكم إلينا من كفانا مؤنته

عن أسماء بن عبيد قال: دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال:

يا أمير المؤمنين، إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتناها، ولي عيال وضيعة، أفتأذن لي أن أخرج إلى ضيعتي، وما يصلح عيالي؟

فقال عمر: أحبكم إلينا من كفانا مؤنته.

فخرج من عنده، فلما صار عند الباب، قال عمر:

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٦١ ـ ١٦٣.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٤.

أبا خالد، أبا خالد، فرجع.

فقال: أكثر من ذكر الموت، فإن كنت في ضيق من العيش وسَّعه عليك، وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك[1].

مسافرون

فقال عمر:

يا أيها الناس، إنما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا.

إنكم لا تؤتون نعمة إلى بفراق أخرى، وأية أكلة ليس معها غصَّة، وأية جرعة ليس معها شرقة، وإن أمس شاهد مقبول، قد فجعكم بنفسه، وخلف في أيديكم حكمته، وإن اليوم حبيب مودِّع، وهو وشيك الظعن[2]، وإن غدا آت بما فيه، وأين يهرب من يتقلب في يدي طالبه؟! إنه لا أقوى من طالب، ولا أضعف من مطلوب.

إنما أنتم سفر[3]، تحلون عقد رحالكم في غير

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٥.

(٢) ظعن: سار.

(٣) سفر: أي مسافرون.

هذه الدار، إنما أنتم فروع أصول قد مضت، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله[1].

أصلحوا آخرتكم

قال عمر:

أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم، والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب حيٌّ لمغرق له في الموت[2].

القليل يكفي

قال مسلمة: دخلت على عمر بعد الفجر، في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر، فلا يدخل عليه أحد، فجاءت جارية بطبق عليه تمر صبحاني، وكان يعجبه التمر، فرفع بكفِّه منه فقال:

يا مسلمة، أترى لو أن رجلاً أكل هذا، ثم شرب عليه الماء ـ فإن الماء على التمر طيب ـ أكان يجزيه[3] إلى الليل؟

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٥.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٦.

(٣) يجزيه: يكفيه.

قلت: لا أدري.

فرفع أكثر منه، قال: فهذا؟.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كان كافيه دون هذا، حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره.

قال: فعلام ندخل النار[1]؟

قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه[2].

زيارة مقبرة

قال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة، فلما نظر إلى القبور بكى، ثم أقبل علي فقال:

يا أبا أيوب، هذه قبور آبائي بني أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم، أما تراهم

---

(١) أي إذا كان هذا التمر القليل يكفي المرء ليوم كامل، وهو ذو قيمة زهيدة، فلماذا يختلف الناس ويقتل بعضهم بعضاً من أجل الدنيا، ولماذا تترك الفروض في سبيل تحصيلها؟

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٧.

صرعى، قد حلَّت بهم المثلات[1]، واستحكم فيهم البلاء، وأصابت الهوام[2] في أبدانهم مقيلاً[3].

ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق فقال:

انطلق بنا، فوالله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن عذاب الله[4].

الوصية بالتقوى

أوصى عمر رجلاً فقال:

أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل.

وقال لآخر:

أوصيك بتقوى الله وإيثاره، تخفَّ عليك المؤنة، وتحسن لك من الله المعونة[5].

---

(١) المثلات: العقوبات.

(٢) الهوام: دواب الأرض وحشراتها.

(٣) المقيل: مكان القيلولة والنوم. والمراد: وجدت في أبدانهم مستقراً ومأوى.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٩.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٧.

وكتب إلى آخر:

أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والانشمار لما استطعت من مالك وما رزقك الله إلى دار قرارك.

فكأنك ـ والله ـ ذقت الموت، وعاينت ما بعده بتصريف الليل والنهار، فإنهما سريعان في طي الأجل، ونقص العمر، لم يفتهما شيء إلا أفنياه، ولا زمن مرا به إلا أبلياه، مستعدان لمن بقي، بمثل الذي أصاب من قد مضى.

فنستغفر الله لسيء أعمالنا، ونعوذ به من مقته إيانا، على ما نعظ به مما نقصر عنه[١].

تعزية

كتب عمر إلى عمر بن عبيد يعزيه على ابنه:

أما بعد: فإنا قوم من أهل الآخرة أُسْكِنا الدنيا، أموات أبناء أموات، والعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت، والسلام[٢].

---

(١) حلية الأولياء ٥/٢٦٦.

(٢) حلية الأولياء ٥/٢٦٦.

احترام السلف

قال عمر:

خذوا من الرأي ما يصدق من كان قبلكم، ولا تأخذوا ما هو خلاف لهم، فإنهم خير منكم وأعلم[1].

موعظته لسليمان

حج سليمان بن عبد الملك، ومعه عمر بن عبد العزيز، فلما أشرف على عقبة عسفان، نظر سليمان إلى عسكره، فأعجبه ما رأى من حجره وأبنيته.

فقال: كيف ترى ما ها هنا يا عمر؟

قال: أرى يا أمير المؤمنين دنيا يأكل بعضها بعضاً، وأنت المسؤول عنها والمأخوذ بما فيها.

فطار غراب من حجرة سليمان ينعب[2] في منقاره كسرة.

فقال سليمان: ما ترى هذا الغراب يقول؟

قال: أظنه يقول: من أين دخلت هذه الكسرة، وكيف خرجت.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٠.

(٢) نعب الغراب: صاح.

قال: إنك لتجيء بالعجب يا عمر!!

قـال: إن شـئـت أخـبـرتـك بـأعـجـب مـن هـذا أخبرتك؟

قال: فأخبرني.

قال: من عرف الله فعصاه، ومن عرف الشيطان فأطاعه، ومن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها.

قال سليمان: نغصت علينا ما نحن فيه يا عمر.

وضرب دابته وسار.

فأقبل عمر حتى نزل عن دابته فأمسك برأسها، وذلك أنه سبق ثقله[1]، فرأى الناس كل من قدَّم شيئاً قدِم عليه. فبكى عمر.

فقال سليمان: ما يبكيك؟

قال: هكذا يوم القيامة، من قدم شيئاً قدم عليه، ومن لم يقدم شيئاً قدم على غير شيء[2].

---

(١) ثقله: الثقل: متاع المسافر.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٢.

كيف أصبحت؟

قال رجل لعمر: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت بطيئاً بطيئاً، متلوثاً في الخطايا، أتمنى على الله الأماني[1].

مسؤولية الحاكم

قال الأوزاعي: جلس عمر في بيته وعنده أشراف بني أمية، فقال:

أتحبون أن أولي كل رجل منكم جنداً من هذه الأجناد؟

فقال له رجل منهم: لم تعرض علينا ما لا تفعله؟

قال: ترون بساطي هذا؟ إني أعلم أنه يصير إلى بلى، وإني أكره أن تدنسوه بأرجلكم. فكيف أوليكم ديني، وأوَليكم أعراض المسلمين وأبشارهم تحكمون فيهم؟

هيهات هيهات!

---

(١) حلية الأولياء ٥/٢٧٨.

قالوا: لمَ، أما لنا قرابة؟ أما لنا حق؟

قال: ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلا سواء، إلا رجل حبسه عني طول شقة[1].

وصية إلى ولي العهد

كتب عمر إلى ولي العهد من بعده:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك.

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد:

فإني كنت وأنا دنف من وجعي، وقد علمت أني مسؤول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً، يقول فيما يقول: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾[2] فإن يرضى عني الرحيم فقد أفلحت ونجوت

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٢ والشقة: المكان البعيد.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٧.

من الهوان الطويل، وإن سخط فيا ويح نفسي إلى ما أصير، أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرني من النار برحمته، وأن يمن علي برضوانه والجنة.

فعليك بتقوى الله، والرعيةَ الرعيةَ، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً، حتى تلحق باللطيف الخبير، والسلام[1].

ما عابه القرآن

ذكر عمر بن عبد العزيز ما مضى من العدل والجور، وعنده هشام بن عبد الملك.

فقال هشام: إنا والله لا نعيب آباءنا، ولا نضع شرفنا في قومنا.

فقال عمر: وأي عيب أعيب مما عابه القرآن[2]؟

خوف المباهاة

قال عمر بن عبد العزيز:

إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة[3].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٢.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٧.

ما يبقى عند الله

قال عمر:

عليك بالذي يبقى لك عند الله، فإن ما بقي عند الله، بقي عند الناس، وما لم يبق عند الله، لم يبق عند الناس[1].

العبادة

قال عمر:

ألا إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم[2].

رسول بني أمية إلى عمر

قال هشام بن عبد الملك لعمر: يا أمير المؤمنين، إني رسول قومك إليك، وإن في أنفسهم ما أكلمك به: إنهم يقولون: استأنف العمل برأيك فيما تحت يدك، وخلِّ بين من سبقك وبين ما ولوا به من كان يلون أمره بما عليهم ولهم.

فقال له عمر: أرأيت لو أتيت بسجلين أحدهما

---

(١) حلية الأولياء ٥/٢٧٧.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٦٩.

من معاوية والآخر من عبد الملك بأمر واحد، فبأي السجلين كنت آخذ؟

قال: بالأقدم ولا أعدل به شيئاً.

قال عمر: فإني وجدت كتاب الله الأقدم، فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي، في مالي وفيما سبقني.

فقال له سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان: يا أمير المؤمنين، امض لرأيك فيما وليت بالحق والعدل، وخلِّ عمن سبقك وعما ولي خيره وشره، فإنك مكتف بذلك.

فقال له عمر: أنشدك الله الذي إليه تعود، أرأيت لو أن رجلاً هلك، وترك بنين صغاراً وكباراً، فعزَّ الأكابر والأصاغر بقوتهم فأكلوا أموالهم، فأدرك الأصاغر فجاؤوك بهم وبما صنعوا في أموالهم، ما كنت صانعاً؟

قال: كنت أرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها.

قال: فإني قد وجدت كثيراً ممن قبلي من الولاة عزوا[1] الناس بقوتهم وسلطانهم، وعزهم بها أتباعهم،

---

(١) عزوا: عز: منع وغلب، أي غلبوا الناس ومنعوهم حقهم.

فلما وليت أتوني بذلك، فلم يسعني إلا الرد على الضعيف من القوي، وعلى المستضعف من الشريف[1].

الحكمة في ترتيب الأولويات

دخل عبد الملك بن عمر على أبيه فقال:

يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة، فأخلني ـ وعنده مسلمة بن عبد الملك ـ.

فقال له عمر: أسرٌّ دون عمك؟

فقال: نعم.

فقام مسلمة فخرج، وجلس بين يديه فقال:

يا أمير المؤمنين: ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك فقال: رأيت بدعة[2] فلم تمتها، أو سنة لم تحيها؟

فقال له: يا بني، أشيء حملتكه الرعية إليَّ، أم رأي رأيته من قبل نفسك؟

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٢.

(٢) البدعة هنا ليست في مقابل السنَّة، وإنما كل ما كان مخالفاً لأوامر الله تعالى وتدخل تحتها المظالم.

قال: لا والله، ولكن رأي رأيته من قبل نفسي، وعرفت أنك مسؤول، فما أنت قائل؟

فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيراً. فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير.

يا بني، إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم، لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقاً تكثر فيه الدماء(١).

والله لزوال الدنيا أهون عليَّ من أن يهراق في سببي محجمة من دم.

أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا، إلا وهو يميت فيه بدعة، ويحيي فيه سنة، حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق، وهو خير الحاكمين(٢).

---

(١) وهذا يدل على حكمته رضي الله عنه، ومعرفته بما يحيط به ويدورحوله.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٣.

جلسة مع عبد

قال زياد بن أبي زياد المديني: أرسلني ابن عامر بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له. فدخلت عليه ـ وعنده كاتب يكتب ـ فقلت: السلام عليكم.

فقال: وعليك السلام.

ثم انتبهت فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال: يا ابن أبي زياد، إننا لسنا ننكر الأولى التي قلت.

والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة.

فقال لي: اجلس. فجلست على أسكفة الباب[1]. وهو يقرأ، وعمر يتنفس صعداً[2]. فلما فرغ، أخرج من كان في البيت، حتى وصيفاً كان فيه، ثم قام يمشي إلي حتى جلس بين يدي، ووضع يديه على ركبتي، ثم قال:

---

(١) أسكفة الباب: خشبة الباب التي يوطأ عليها.

(٢) التنفس الطويل.

يا ابن زياد، استدفأت في مدرعتك هذه ـ قال: وعليَّ مدرعة من صوف ـ واسترحت مما نحن فيه. ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة رجالهم ونساءهم، فما ترك منهم أحداً إلا سألني عنه، وسألني عن أمور كان أمر بها بالمدينة فأخبرته.

ثم قال لي: يا ابن أبي زياد، ألا ترى ما وقعت فيه.

قال: قلت: أبشر يا أمير المؤمنين، إني لأرجو لك خيراً.

قال: هيهات، هيهات، ثم بكى حتى جعلت أرثي له.

فقلت: يا أمير المؤمنين بعض ما تصنع، فإني لأرجو لك خيراً.

قال: هيهات، هيهات، أشتُم ولا أشتَم، وأضرِب ولا أضرَب، وأوذي ولا أوذَى، ثم بكى حتى جعلت أرثي له.

فأقمت حتى قضى حوائجي، ثم أخرج من تحت فراشه عشرين ديناراً فقال: استعن بهذه، فإنه لو كان لك في الفيء حق أعطيناك حقك، إنما أنت عبد.

فأبيت أن آخذها.

فقال: إنما هي من نفقتي، فلم يزل بي حتى أخذتها.

وكتب إلى مولاي يسأله أن يبيعني منه، فأبى وأعتقني[1].

الويل لمن لم يحذر الموت

قال عمر بن عبد العزيز:

لقد نغَّص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من نضارة الدنيا وزهرتها، فبينا هم كذلك، وعلى ذلك، إذ أتاهم حادٍ من الموت فاخترمهم مما هم فيه، فالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء، فيقدم لنفسه خيراً يجده بعدما يفارق الدنيا وأهلها[2].

العقوبة العامة

قال عمر بن عبد العزيز:

كان يقال: إن الله لا يعذب العامة بذنب

---

(١) صفة الصفوة، لابن الجوزي ٢/٨٦.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٧٠.

الخاصة، ولكن إذا عُمِلَ المنكرُ جهاراً استحقوا العقوبة كلهم[1].

رحمة الله

قال عمر بن عبد العزيز:

اللهم إن لم أكن أهلاً أن أبلُغَ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كل شيء، وأنا شيء، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الذي خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين[2].

هذا ميراث نبيكم

قال محمد بن مهاجر: كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبي ﷺ وعصاه، وقدح، وجفنة، ووسادة حشوها ليف، وقطيفة ورداء.

فكان إذا دخل عليه النفر من قريش قال:

---

(١) حلية الأولياء ٥/٢٩٨.

(٢) حلية الأولياء ٥/٢٩٩.

هذا ميراث من أكرمكم الله به، ونصركم به، وأعزكم به، وفعل وفعل[1].

تأسيس الضلالة

قال عمر:

إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم دون العامة، فاعلم أنهم في تأسيس الضلالة[2].

وصية لقائد

عهد عمر إلى بعض عماله؛ فقال:

عليك بتقوى الله في كل حال ينزل بك، فإن تقوى الله أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوى القوة.

ولا تكن في شيء من عداوة عدوك أشد احتراساً لنفسك ومن معك من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم، وإنما نعادي عدونا ونستنصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا قوتنا

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣٢٧.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٨.

كقوتهم، فإن لا ننصر عليهم بمقتنا، لا نغلبهم بقوتنا.

ولا تكونن لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم، ولا أشد تعاهداً منكم لذنوبكم، واعلموا أن عليكم ملائكة الله حفظة عليكم، يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم، فاستحيوا منهم وأحسنوا صحابتهم، ولا تؤذوهم بمعاصي الله، وأنتم - زعمتم - في سبيل الله.

ولا تقولوا: إن عدونا شرٌّ منا، ولن ينصروا علينا وإن أذنبنا، فكم من قوم قد سلط عليهم بأشرَّ منهم لذنوبهم. وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم نسأل الله ذلك لنا ولكم.

وارفق بمن معك في مسيرهم، فلا تجشمهم مسيراً يتعبهم. ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يلقوا عدوهم والسفرُ لم ينقص قوتهم ولا كراعهم[1]، فإنكم تسيرون إلى عدو مقيم جامٍ[2] الأنفس والكراع، وإلا ترفقوا بأنفسكم وكراعكم في مسيركم، يكن لعدوكم فضل في القوة عليكم في

---

(١) الكراع: الغنم والإبل والدواب المرافقة لهم.

(٢) جام: أي مستريح غير متعب.

إقامتهم في جمام الأنفس والكراع. والله المستعان.

أقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة، لتكون لهم راحة يجمون بها أنفسهم وكراعهم، ويرمُّون أسلحتهم وأمتعتهم[1]، ونحِ[2] منزلك عن قرى الصلح، ولا يدخلها أحد من أصحابك لسوقهم وحاجتهم إلا من تثق به وتأمنه على نفسه ودينه، فلا يصيبوا فيها ظلماً، ولا يتزودوا منها إثماً، ولا يرزؤون[3] أحداً من أهلها شيئاً إلا بحق، فإن لهم حرمة وذمة، ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فلا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح.

ولتكن عيونك من العرب ممن تطمئن إلى نصحه من أهل الأرض، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدق في بعضه، وإن الغاش عين عليك، وليس بعين لك[4].

---

(١) يرمون: يصلحون.
(٢) نح: أي أبعد مكان إقامتك عن تلك القرى.
(٣) الرزء: المصيبة، والمراد: ولا يبخسون.
(٤) حلية الأولياء ٥/٣٠٣.

صحبة الخليفة

قال عمر لجلسائه: من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال.

يدلني من العدل إلى ما لا أهتدي له.

ويكون لي على الخير عوناً.

ويبلغني حاجة من لا يستطيع إبلاغها.

ولا يغتاب عندي أحداً.

ويؤدي الأمانة التي حملها مني ومن الناس.

فإذا كان كذلك فحيهلا به، وإلا فهو في حرج من صحبتي والدخول علي[1].

فتنة القول

قال ميمون بن مهران: إني لعند عمر بن عبد العزيز، إذ فتح له منطق حسن، حتى رقَّ له أصحابه، ففطن لرجل منهم وهو يحذف دمعته، فقطع منطقه[2].

فقلت له: امض في منطقك، فإني لأرجو أن

---

(١) حلية الأولياء ٥/٣٣٦.

(٢) منطقه: المراد به موعظته.

يمنَّ الله به على من سمعه، فانتهى إليه بيده، فقال:

إليك عني، فإن في القول فتنة، والفعال أولى بالمرء من القول[1].

أحمق الناس

قال عمر لجلسائه:

أخبروني من أحمق الناس؟

قالوا: رجل باع آخرته بدنياه.

فقال لهم عمر: ألا أنبئكم بأحمق منه؟

قالوا: بلى.

قال: رجل باع آخرته بدنيا غيره[2].

لأصعرت خدودكم

قال عمر لحاجبه: لا يدخلن علي اليوم إلا مرواني. فلما اجتمعوا عنده، حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا بني مروان، إنكم قد أعطيتم حظاً وشرفاً

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٨٤.

(٢) المصدر قبله ص٢٠٥.

وأموالاً، إني لأحسب شطر أموال هذه الأمة، أو ثلثه، في أيديكم.

فسكتوا.

فقال عمر: ألا تجيبوني؟

فقال رجل من القوم: والله لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا. والله لا نكفر آباءنا، ولا نفقر أبناءنا[1].

فقال عمر: والله لولا أن تستعينوا علي بمن أطلب هذا الحق له[2]، لأصعرت[3] خدودكم. قوموا عني[4].

موعظة عملية

كان عند عمر بن عبد العزيز ناس من بني

---

(١) لعله أراد أن يحاسبهم على ما بأيديهم من أموال فقالوا ذلك.

(٢) كذلك في معظم الأحيان يستعين الطغيان بالضعفاء ضد من ينصر هؤلاء الضعفاء.

(٣) الصعر: ميل في الوجه، وهو داء في البعير يلوي عنقه.

(٤) الحلية ٥/ ٢٧٣.

مروان. فحبسهم وقال لخبازه: إذا دعوت بالطعام فلا تعجل به.

فحبسهم حتى تعالى النهار ـ قال: وهم قوم لم يعتادوا ذلك ـ فمرَّ به الخباز، فقال: ويحك، ائتنا بطعامك.

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، الآن.

قال: فلما أبطأ قال لهم، فهل لكم في سويق وتمر؟

قال: فجيء بسويق وتمر. فأكلوا.

فلما فرغوا جاء الخباز بالطعام فأمسكوا.

فقال: ألا تأكلون؟

قالوا: والله يا أمير المؤمنين ما نقدر عليه.

فقال لهم ذلك غير مرة فأبوا أن يأكلوا.

فقال: ويحكم يا بني مروان، ففيما التقحم في النار؟

فبكى وأبكى[1].

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص٩٩.

التزام الحق

قال ميمون بن مهران: ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة، ثم قال لي: إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض[١].

التذكير بالحق

قال عمرو بن مهاجر: قال لي عمر بن عبد العزيز:

إذا رأيتني قد ملت عن الحق، فضع يدك في تلبابي ثم هزّني، ثم قل: يا عمر ما تصنع؟![٢]

منازل الأبرار

ضرب عمر بن عبد العزيز بيده على بطنه، ثم قال:

بطني بطيء عن عبادة ربه، متلوث بالذنوب والخطايا، يتمنى على الله منازل الأبرار بخلاف أعمالهم[٣].

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٢٥.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٨٦.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٧.

الحكمة في تدبير الأمور

قال عبد الملك لأبيه عمر بن عبد العزيز: يا أبتِ ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل؟

قال: يا بني، إنما أروض الناس رياضة الصعب. إني لأريد أن أحيي الأمور من العدل، فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا. فينفروا لهذه، ويسكنوا لهذه.

وقال: ما طاوعني الناس على ما أردت من الحق، حتى بسطت لهم من الدنيا شيئاً[١].

احذروا الموت

قال عمر بن عبد العزيز:

يا أيها الناس، اتقوا الله، فإنه ليس من هالك إلا له خلف إلا التقوى، واحذروا الموت، فإنه أشد ما قبله وأهون ما بعده[٢].

الصرعة على الغفلة

قال عمر بن عبد العزيز:

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص٥٧.

(٢) المصدر قبله ص١٧٤.

يا بني احذر الصرعة على الغفلة، حين لا تستجاب الدعوة، ولا سبيل إلى رجعة، ولا تغترَّنَّ بطول العافية، فإنما هو أجل، ليس دونه فناء، ولا بعد أن تستكمله بقاء[1].

وجع الجهل

قال عمر:

أيها الناس، إنما يراد الطبيب للوجع الشديد، ألا فلا وجع أشد من الجهل، ولا داء أخبث من الذنوب، ولا خوف أخوف من الموت[2].

الورود والصدور

كتب عمر إلى أخ له:

يا أخي، إنك قد قطعت عظيم السفر وبقي أقلُّه، فاذكر يا أخي المصادر والموارد، فقد أوحي إلى نبيك ﷺ في القرآن أنك من أهل الورود[3]، ولم يخبر أنك من أهل الصدور والخروج.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص١٧٦.

(٢) المصدر قبله ص١٧٧.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾.

وإياك أن تغرك الدنيا، فإن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له.

يا أخي، إن أجلك قد دنا، فكن وصيَّ نفسك، ولا تجعل الرجال أوصياءَك[١].

همّ البطن

قال عمر:

بؤساً لمن كان بطنه أكبر همِّه[٢].

أمر فرغ منه

جاء رجل إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، أبقاك الله ما كان البقاء خيراً لك.

قال عمر: أما ذاك فقد فرغ منه. ولكن قل: أحياك الله حياة طيبة، وتوفاك مع الأبرار[٣].

سدّ حفرة نفسه

كان لعمر بن عبد العزيز صديق، فأخبر أنه قد مات، فجاء إلى أهله يعزيهم، فصرخوا في وجهه، فقال:

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص١٧٨.

(٢) المصدر قبله ص١٧٨.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٠.

مه!! إن صاحبكم هذا لم يكن يرزقكم، وإن الذي يرزقكم حي لا يموت، إن صاحبكم هذا لم يسد شيئاً من حفركم، وإنما سدَّ حفرة نفسه، وإن لكل امرئ منكم حفرة لا بدَّ - والله - أن يسدَّها.

إن الله لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب، وعلى أهلها بالفناء.

وما امتلأت دار حسرة إلا امتلأت عبرة، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها.

فمن كان منكم باكياً فليبكِ على نفسه، فإن الذي صار إليه صاحبكم، كلكم يصير إليه غداً[١].

تحدثوا بالقرآن

قال عمر:

اتقوا الله وإياكم والمزاحة. فإنها تورث الضغينة وتجر القبيحة، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم، فحديث حسن من حديث الرجال[٢].

---

(١) حلية الأولياء ٥/٣٢٩.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص١٨٠.

العمل بغير علم

قال عمر:

من عمل على غير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ومن لم يعدَّ كلامَه من عمله كثرت ذنوبه، والرضا قليل، ومعول المؤمن الصبر[1].

شتم الظالم

قال رباح بن عبيدة: كنت قاعداً عند عمر، فذكر الحجاج، فشتمته ووقعت فيه.

فقال عمر: مهلاً يا رباح، إنه بلغني أن الرجل ليظْلِمُ بالمظلمة، فلا يزال المظلومُ يشتم الظالم ويتنقَّصه، حتى يستوفي حقه، فيكون للظالم عليه الفضل[2].

ما خرج من القلب

قال عمر:

لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب[3].

---

(١) المصدر قبله ص٨٢.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٧.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٨.

المراء والغضب

قال عمر:

قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع[1].

السنة

قال عمر:

ألا إن ما سن رسول الله ﷺ وصاحباه، فهو دين نأخذ به، وننتهي إليه، وما سنَّ سواهما فإنا نرجئه[2].

امتلأت الأرض ظلماً

قال عمر:

الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرة بن شريك بمصر، امتلأت الأرض ـ والله ـ جوراً[3].

---

(١) المصدر قبله ٥/ ٢٩٠.

(٢) المصدر قبله ٥/٢٩٨.

(٣) المصدر قبله ٥/٣٠٩.

سبيل الظَّلمة

قال عمر:

إنما هلك من كان قبلنا:

بحبسهم الحق حتى يشترى منهم.

وبسطهم الظلم حتى يفتدى منهم[1].

درء الحدود

قال عمر:

ادرؤوا الحدود ما استطعتم في كل شبهة، فإن الوالي إن أخطأ في العفو، خير من أن يتعدى في الظلم والعقوبة[2].

نفسي مطيتي

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه، وهو ينام نومة الضحى فقال: يا أبتِ أتنام وأصحاب الحوائج واقفون ببابك؟

---

(١) المصدر قبله ٥/ ٣١١.

(٢) المصدر قبله ٥/ ٣١١.

قال: يا بني، إن نفسي مطيتي، فإن أنضيتها[1] قطعتها، ومن قطع المطي لم يبلغ الغاية[2].

التزام السنّة

قال عمر:

سن رسول الله ﷺ وخلفاؤه بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستعمال لطاعة الله، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سبق هدي، واستبصر بها أبصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولأّه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً[3].

مولى علي بن أبي طالب

وَفَدَ زريق - مولى علي رضي الله عنه - على عمر بن العزيز، وكان قد حفظ القرآن والفرائض، فقال: يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل المدينة، وقد حفظت القرآن والفرائض وليس لي ديوان.

---

(١) أنضيتها: أتعبتها.

(٢) العقد الفريد ٨/ ٨١.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٢٤٢.

قال عمر: ولِمَ يرحمك الله؟ من أي الناس أنت؟

قال: رجل من موالي بني هاشم.

فقال له: مولى من؟

فقال له: رجل من المسلمين.

فقال له عمر: إليك أسأل - وصاح به - أتكتمني من أنت؟

فقال - سراً -: أنا مولى علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكانت بنو أمية لا يذكر علي بين أيديهم.

فبكى عمر حتى جرت دموعه ثم قال: وأنا مولى علي، أتكاتمني ولاء علي؟ حدثني سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)(1)(2).

---

(1) أخرجه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(2) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٣.

الدنيا وأولياء الله

قال عمر:

الدنيا عدوة أولياء الله، وولية أعداء الله.

أما الأولياء: فغمتهم وأحزنتهم.

وأما الأعداء: فغرتهم وشتتهم، وأبعدتهم من الله[١].

أزهد الناس

قال عمر:

أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب[٢].

الحاجة المباركة

قال عمر:

لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه، أعطي أو منع[٣].

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٣٤.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢٣٤.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٢٣٤.

التؤدة في الإصلاح

قال عبد الملك لأبيه عمر بن عبد العزيز: يا أبت مالك لا تنفذ في الأمور، فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور.

قال له عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة، فيدفعوه وتكون فتنة[1].

صفات القاضي

قال عمر بن عبد العزيز:

إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل: علم بما كان قبله، ونزاهة عن الطمع، وحلم عن الخصم، واقتداء بالأئمة، ومشاورة أهل العلم والرأي[2].

---

(١) العقد الفريد ١/ ٣٠.

(٢) العقد الفريد ١/ ٦٢.

مسابقة في الخبث

قال عمر:

لو أن الأمم تخابثت يوم القيامة، فأخرجت كل أمة خبيثها، ثم أخرجنا الحجاج لغلبناهم[1].

عمر يحسد الحجاج

قال عمر:

ما حسدت الحجاج ـ عدو الله ـ على شيء حسدي إياه على حبه القرآن، وإعطائه أهله، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي، فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل[2].

أول أمر عمر

قيل لعمر بن عبد العزيز: ما كان بدء إنابتك؟

قال: أردت ضرب غلام لي فقال: يا عمر اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة[3].

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص٧٢.

(٢) المصدر قبله ص٧٣.

(٣) المصدر قبله ص١٢٥.

حتى زرتم المقابر

قرأ عمر بن عبد العزيز: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ فبكى ثم قال: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ ما أرى المقابر إلا زيارة، ولا بد لمن زار أن يرجع إلى الجنة، أو إلى النار[1].

الفقه الأكبر

قال عمر لعثمان الدجني:

علم ابنك الفقه الأكبر.

قال: وما الفقه الأكبر؟

قال: القناعة وكفّ الأذى[2].

الحلم

اسمعَ رجل عمر بن عبد العزيز ما يكره، فقال:

لا عليك، إنما أردتَ أن يستفزني الشيطان بعزَّةِ السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف إذا شئت[3].

---

(١) المصدر قبله ص١٥٨.

(٢) المصدر قبله ص٢٠٥.

(٣) العقد الفريد ٢/ ١٢٠.

أشبه بالسلف

قال عمر بن عبد العزيز:

ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب، لولا جفاء فيهم[1].

أهل الكوفة

كتب عدي إلى عمر بسوء طاعة أهل الكوفة فأجابه:

لا تطلب طاعة من خذل علياً، وكان إماماً مرضياً[2].

أنا وأنت بشرٌّ

قال عمر لغلام له اسمه درهم:

ما يقول الناس يا درهم؟

قال: وما يقولون؟ الناس كلهم بخير، وأنا وأنت بشرّ.

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٣.

(٢) العقد الفريد ٤/ ٢٥٩.

قال: وكيف ذلك؟

قال: إني عهدتك قبل الخلافة عطراً، لبَّاساً، فارِهَ المركب، طيب الطعام، فلما وليت رجوت أن أستريح وأتخلص، فزاد عملي شدة، وصرتَ أنت في بلاء.

قال: فأنت حر، فاذهب عني ودعني وما أنا فيه، حتى يجعل الله لي منه مخرجاً[1].

الأمور ثلاثة

قال عمر: الأمور ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعه، وأمر استبان ضره فاجتنبه. وأمر أشكل أمره عليك فرده إلى الله[2].

صوت نعمة

خرج سليمان بن عبد الملك يوماً إلى بعض البوادي، فحدث برق ورعد وصواعق ففزع سليمان ونادى يا عمر يا عمر.. فقال عمر: ها أنا ذا، قال: ألا ترى؟

---

(١) العقد الفريد ٥/ ١٧٠.

(٢) العقد الفريد ٥/ ١٧١.

قال: يا أمير المؤمنين، إنما هذا صوت نعمة، فكيف لو سمعت صوت عذاب.

فقال: خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها.

فقال عمر: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: وما هو؟

قال: قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك.

فجلسَ فردَّ المظالم[١].

تلقيح الألباب

قال عمر:

إني وجدت لقاء الرجال تلقيحاً لألبابهم[٢].

دين الصبيان

سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن الأهواء، فقال:

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص٣٣.

(٢) المصدر قبله ص٥٢.

عليك بدين الصبيان الذين في الكتَّاب، والأعرابي[1]، واله[2] عما سواهما[3].

صحبة الشر

استعمل عمر عاملاً فبلغه أنه عمل للحجاج فعزله، فأتاه يعتذر إليه فقال: لم أعمل له إلا قليلاً.

قال عمر: حسبك من صحبة شرٍ يوم أو بعض يوم[4].

الحق والهوى

قال عمر:

ما وجدت من أمر هو ألذُّ عندي من حق وافق

---

(١) هذا بيان يوضح فيه بساطة العقيدة الإسلامية بعيداً عن تعقيد المصطلحات، فالدين الذي يرشده إليه هو دين الصبيان في الكتاب، وهم لايدرون أكثر من (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكان الأعرابي يأتي فيتشهد شهادة الحق ثم ينطلق صحابياً مسلماً.

(٢) والهَ: من اللهو، والمراد لا تلتفت إلى غيرهما، وتغافل عما سواهما.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص٥٤.

(٤) المصدر قبله ص٧٢.

هوى[1].

الحرص على إماتة البدع

قال عمر في كلام له:

فلو كان كل بدعة[2] يميتها الله على يدي، وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي، حتى يأتي آخر ذلك على نفسي، كان في الله يسيراً[3].

إني أعرف صاحبها

جاء بنو مروان إلى عمر فقالوا: إنك قصرت بنا عما كان يصنعه بنا من قبلك.

وعاتبوه.

فقال:

لئن عدتم لمثل هذا المجلس، لأشدَّنَّ ركابي،

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٣.

(٢) ليس المقصود بالبدعة هنا معناها الاصطلاحي، وإنما كل ظلامة وكل انحراف.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٣.

ثم لأقدمنَّ المدينة، ولأجعلنها ـ أو أصيرها ـ شورى. أما إني أعرف صاحبها الأعيمش. يعني القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[1].

الاختلاف بين الصحابة

ذكر اختلاف الصحابة عند عمر فقال:

أمر أخرج الله أيديكم منه، ما تعملون ألسنتكم فيه!![2].

وسئل عن الجمل وصفين فقال:

تلك دماء كفَّ الله يدي عنها، وأنا أكره أن أغمس لساني فيها[3].

لا يطيّب المسجد من الصدقات

قال محمد بن عجلان: كان الولاة قبل عمر بن

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٩٤. وهذا هو المسلك الصواب في هذا الموضوع الشائك، وقد بينه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بهذه الكلمات القليلة.

عبد العزيز يجرون[1] على إجمار[2] مسجد رسول الله ﷺ، للجُمَع وتطييبه في شهر رمضان من العشر والصدقة. فلما ولي عمر بن عبد العزيز، كتب بقطع ذلك، وبمحو آثار ذلك الطيب من المسجد[3].

الصمت والكلام

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم؟

قال: إذا اشتهيت الصمت.

قال: متى أصمت؟

قال: إذا اشتهيت الكلام[4].

بساطة العقيدة

قال عمر بن عبد العزيز:

من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل[5].

---

(١) يجرون: الجراية: تخصيص مبلغ من المال لينفق على جهة ما في كل موسم أو شهر أو سنة.

(٢) إجمار: من الجمر، والمراد تطييب المسجد بالعود الذي يظهر ريحه عندما يوضع فوق الجمر.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/٣٩٩.

(٤) إحياء علوم الدين ٣/٦٧.

(٥) إحياء علوم الدين ٣/١١٧ والمراد: أن العقيدة الإسلامية=

الزهد

قال عمر:

إنما الزهد في الحلال. وأما الحرام فنار تسعر[1].

الحلم والعفو

قال عمر:

ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة[2].

لا أدري

قال عمر:

من قال: لا أدري، فقد أحرز نصف العلم[3].

= بسيطة ليس فيها تعقيد ولا مصطلحات ولا معميات. فمن جعلها محل مناقشة اضطر أن يبحث الأدلة وقد يترك فرقة لينتقل إلى أخرى ولذا لما سئل عمر بن عبد العزيز عن الأهواء أرشد السائل إلى دين الصبيان فقال: عليك بدين الصبيان والأعرابي والهَ عما سواهما. وهذا دلالة منه رحمه الله على بساطة العقيدة التي هي الشهادتان. فقد كان الأعرابي يأتي إلى رسول الله ﷺ فيكون إسلامه بنطقه بشهادة الحق: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٢٩.

(٢) البيان والتبيين ١/٢٥٨.

(٣) البيان والتبيين ١/٣٩٨.

ما يقال في التعزية

قال عمر:

ما أحسن تعزية أهل اليمن. وتعزيتهم: لا يحزُنْكُم اللَّهُ ولا يفتنْكُم، وأثابكم ما أثاب المتقين الشاكرين، وأوجب لكم الصلاة والرحمة[1].

عيادة المريض

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعوده في مرضه، فسأله عن علته، فلما أخبره قال: من هذه العلة مات فلان، ومات فلان:

فقال له عمر: إذا عدت المرضى، فلا تنْعَ إليهم الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا[2].

لجام التقوى

قال عمر: التَّقي مُلْجَم[3].

---

(١) البيان والتبين ٣/ ٢٨٤.

(٢) العقد الفريد ٢/ ٢٦٧.

(٣) العقد الفريد ٣/ ٢١ والمعنى أن الرجل التقي الصالح تمنعه تقواه من إشغال لسانه بما لا يحل له، ولذا فهو ملجم ممنوع من الكلام، واللجام هو التقوى.

مثل العبد الصالح

قال ميمون بن مهران: كنت عند عمر، فكثر بكاؤه ومسألته ربه الموت، فقلت: لم تسأل الموت وقد صنع الله على يديك خيراً كثيراً، أحيا بك سنناً وأمات بك بدعا؟ قال:

أفلا أكون مثل العبد الصالح، أقرَّ الله عينه، وجمع له أمره، قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

وصية في القيادة

قال عمرو بن قيس: بعثني عمر بن عبد العزيز على الصائفة[2]، فقال لي:

يا عمرو، لا تكن أول الناس فتقتل فينهزم أصحابك، ولا تكن آخرهم فتثبطهم وتجبنهم، ولكن

---

(١) العقد الفريد ٤/٤٠٤، والآية الكريمة من سورة يوسف رقم (١٠١).

(٢) الصائفة: الغزوة التي تكون في الصيف.

كن وسطهم، حيث يرون مكانك، ويسمعون كلامك. وفادِ من قدرت عليه من المسلمين وأرقائهم وأهل ذمتهم[1].

مواقع القضاء

قال عمر:

ما أصبح لي اليوم في الأمور هوى، إلا في مواقع قضاء الله فيها[2].

عطاء الصبر

قال عمر:

ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعَاضَهُ من ذلك الصبر، إلا كان ما عاضه الله أفضل مما انتزع منه، ثم قرأ:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3][4].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٦٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٧٢.

(٣) سورة الزمر، الآية (١٠).

(٤) البيان والتبيين ٣/ ١٤٢.

الغفلة والخشية

قال عمر بن عبد العزيز:

إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة، كيلا يموتوا من خشية الله تعالى[1].

كن متعلماً

قال عمر:

إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحبَّهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم[2].

شرف الآخرة

قال عمر لرجاء بن حيوة:

والله لئن ابتليت بذلك [الخلافة] وإنها شرف الدنيا، لأطلبن بها شرف الآخرة[3].

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٨٥.

(٢) ابن عبد الحكم ص١١٣.

(٣) ابن عبد الحكم ص١٢٠.

(٢)

الخطب

أول خطبة

لما استخلف عمر قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد عليه السلام، وإني لست بقاض، ولكني منفذ، وإني لست بمبتدع، ولكني متبع، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا إن الإمام الظالم هو العاصي، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل. وإني لست بخيركم، ولكني أثقلكم حملاً.. ألا هل بلغت[1].

أذكركم ببلادكم

خطب عمر بن عبد العزيز: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٢٢٢.

أيها الناس، الحقوا ببلادكم، فإني أذكركم ببلادكم وأنساكم عندي.

ألا وإني قد استعملت عليكم رجالاً، لا أقول هم خياركم، ولكنهم خير ممن هم شر منهم. فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له عليَّ[1]، والله لئن منعت بهذا المال نفسي وأهلي ثم بخلت به عليكم إني إذن لضنين.

والله لولا أن أنعش لسنَّة[2]، أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا[3][4].

التزود للسفر

خطب عمر فقال:

إن لكل سفر زاداً لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعدَّ الله

---

(١) أي لا يحتاج إلى الإذن ليدخل عليه، وإنما يدخل بغير إذن.

(٢) أي أنشط لإحياء سنة.

(٣) الفواق: الزمن بين الحلبتين.

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٨٠.

من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا. ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسى قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم.

فإنه ـ والله ـ ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسي بعد صباحه، ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا.

فكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً. وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمنَ من أهوال يوم القيامة، فأما من لا يداوي كلَمْاً إلا أصابه جرح في ناحية أخرى[1]!!

أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتخسر صفقتي، وتظهر عيلتي[2]، وتبدو مسكنتي، في يوم يبدو فيه الغنى والفقر، والموازين منصوبة.

ولقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت.

---

(١) تتمة الكلام محذوف دل عليه ما قبله. فالمعنى أما هذا الفريق من الناس فلا يحق له أن يفرح.

(٢) العيلة: الفقر.

أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وأنكم صائرون إلى إحداهما[1].

ليست الدنيا بدار قرار

خطب عمر بن عبد العزيز فقال:

إن الدنيا ليست بدار قراركم، دار كُتِبَ عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن[2]، فكم عامر موثق عما قليل مخرب، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن.

فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب.

بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها، وبها قرير العين، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودنياه، وصيَّر لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسرّ بقدر ما تضرّ، إنها تسرّ قليلاً، وتجر حزناً

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩١ وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ١٦٧.

(٢) الظعن: السفر والترحال.

سبقُ القدر

خطب عمر بن عبد العزيز يوم جمعة فقال:

أيها الناس، من أحسن منكم فليحمد الله، ومن أساء فليستغفر الله، فإنه لا بدَّ لأقوام من أن يعملوا أعمالاً وظفَّها الله في رقابهم، وكتبها عليهم[٢]..

خطبة عيد

خطب عمر يوم عيد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم تلا آيات من كتاب الله، ثم قال:

أيها الناس، إني وجدت هذا القلب لا يعبر عنه إلا باللسان، ولعمري - وإن لعمري مني لحقاً - لوددت أنه ليس من الناس عبد ابتلي بسعة إلا نظر قطيعاً من ماله، فجعله في الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، بدأت أنا بنفسي وأهل بيتي، ثم كان الناس بعد.

ثم كان آخر كلمة تكلم بها حين نزل:

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ١٦٨ والحلية ٥/ ٢٩٢.

(٢) حلية الأولياء ٥/٢٩٦.

لولا سنة أحييها، أو بدعة أميتها، لم أبال أن لا أبقى في الدنيا فواقاً[1].

خطبة في الاستغفار

قال رجاء بن حيوة، كان عمر يخطب فيقول:

أيها الناس، من ألمَّ بذنب فليستغفر الله عز وجل وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرار عليها[2].

خطبة في أن الرزق مكتوب

خطب عمر فقال:

اتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب، فإنه إن كان لأحدكم رزق في رأس جبل أو حضيض أرض يأتِه[3].

---

(١) حلية الأولياء ٥/٢٩٧.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ١٦٩.

(٣) المصدر قبله ١٦٩، والحلية ٥/٢٩٦.

التقوى خلف

خطب عمر فقال:

يا أيها الناس، اتقوا الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء، وليس لتقوى الله خلف، يا أيها الناس، اتقوا الله وأطيعوا من أطاع الله، ولا تطيعوا من عصى الله[1].

خطبة: بادروا الفوت

خطب عمر فقال:

يا أيها الناس، لا تغرنكم الدنيا والمهلة فيها، فعن قليل عنها تنقلون، وإلى غيرها ترحلون، فاللَّهَ اللَّهَ عباد الله في أنفسكم، فبادروا بها الفوت قبل حلول الموت، ولا يطل بكم الأمل فتقسو قلوبكم، فتكونوا كقوم دعوا إلى حظهم فقصروا عنه بعد المهلة، فندموا على ما قصروا عند الآخرة[2].

خطبة بعرفات

خطب عمر بعرفات فقال:

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٧.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص١٨٥.

إنكم وفد غير واحد[1]، وإنكم قد شخصتم من القريب والبعيد، وأنضيتم[2] الظهر وأرملتم[3]، وليس السابق اليوم من سبق بعيره ولا فرسه، ولكن السابق اليوم من غفر الله له[4].

وقال:

اللهم زد في إحسان محسنهم، وراجع لمسيئهم التوبة، وحطَّ من ورائهم الرحمة.

وأومأ بيده إلى الناس[5].

الإمام العاصي

خطب عمر الناس فقال:

أما بعد:

أيها الناس، فلا يطولن عليكم الأمد، ولا يبعدن عليكم يوم القيامة، فإن من وافته منيته، فقد قامت

---

(١) أي إنكم وفود متعددة كثيرة، من أماكن متباعدة.
(٢) أفضيتم الظهر: أي أتعبتم خيولكم وإبلكم وأضعفتموها.
(٣) أرملتم: أي نفذ زادكم.
(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٧.
(٥) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٨.

قيامته، لا يستعتب من سيء، ولا يزيد في حسن.

ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله.

ألا وإنكم تعدون الهارب من ظلم إمامه عاصياً، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم.

ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله:

قد فني عليه الكبير

وكبر عليه الصغير

وفَصُح عليه الأعجمي

وهاجر عليه الأعرابي

حتى حسبوه دينا، لا يرون الحق غيره.

ثم قال: إنه لحبيب إلي أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها. ولا قوة إلا بالله[1].

حمقى أو هلكى

خطب عمر بن عبد العزيز فقال:

أيها الناس، إن الله تعالى خلق خلقه، ثم

---

(١) سيرة عمر لابن عبد الحكم ص٣٧.

أرقدهم، ثم يبعثهم من رقدتهم، فإما إلى جنة، وإما إلى نار، والله إن كنا مصدقين بهذا إنا لحمقى[1]، وإن كنا مكذبين بهذا إنا لهلكى. ثم نزل[2].

آخر خطبة

قال عبد الرحمن: خطب عمر بن العزيز هذه الخطبة، وكان آخر خطبة خطبها، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه ليحكم بينكم، ويفصل بينكم.

وخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر الله اليوم وخافه، وباع ناقداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان.

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وستصير من بعدكم للباقين، وكذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين.

ثم إنكم تشيعون كل يوم غادياً ورائحاً، قد قضى

---

(١) حمقى بسبب عدم استعدادهم لما صدقوا به.

(٢) حلية الأولياء ٥/٢٦٦.

نحبه، وانقضى أجله، حتى تغيبوه في صدع من الأرض، في شق صدع، ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد، فارق الأحباب، وباشر التراب، ووجه للحساب، مرتهن بما عمل، غني عما ترك، فقير إلى ما قدم.

فاتقوا الله وموافاته، وحلول الموت بكم.

أما والله، إني لأقول هذا، وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، واستغفر الله.

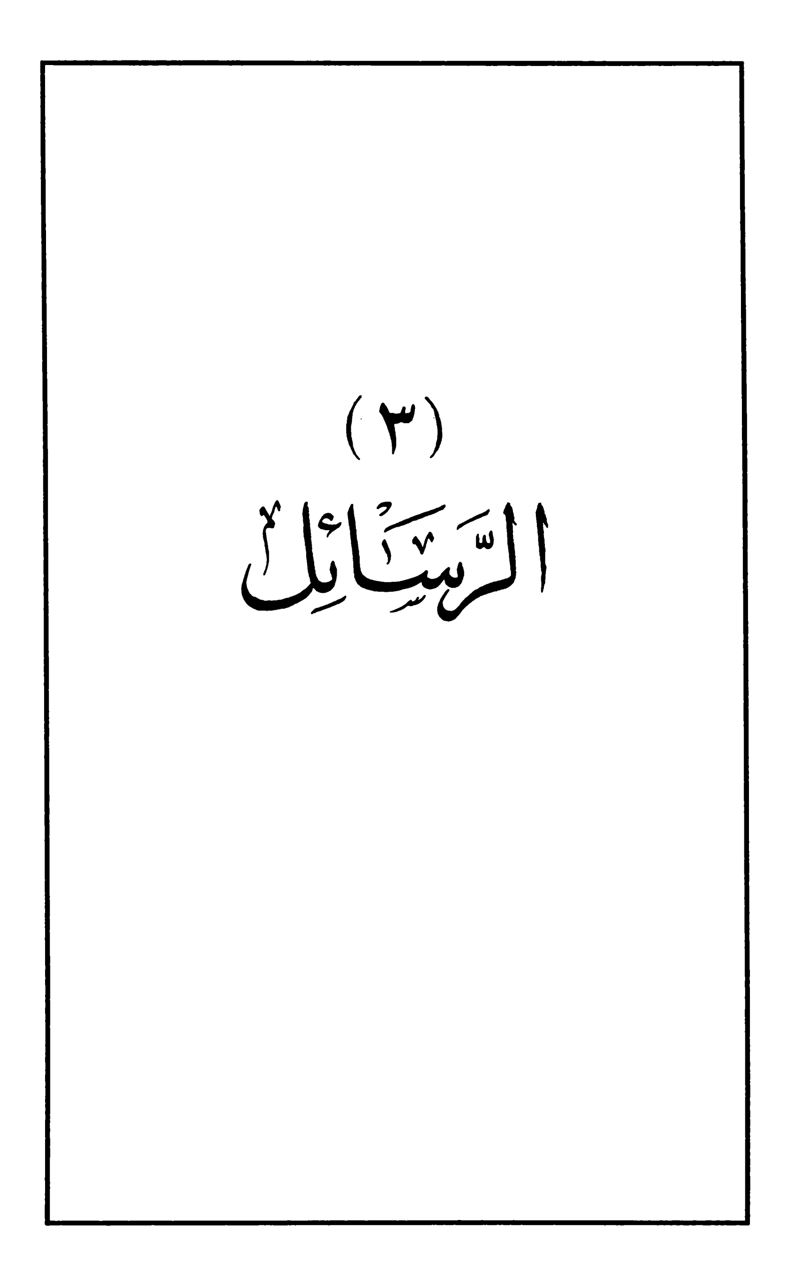
وما منكم من أحد يبلغنا حاجته، لا يسع له ما عندنا، إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي، حتى يكون عيشنا وعيشه واحداً.

أما والله، لو أردت غير هذا من نضارة العيش لكان اللسان به ذلولاً، وكنت بأسبابه عالماً، ولكن سبق من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة، دلَّ فيها على طاعته، ونهى فيها عن معصيته.

ثم رفع طرف ردائه، فبكى وأبكى من حوله[1].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٥.



(٣)

الرَّسَائِل

رسالة: بيان سياسته العامة

لما وَليَ عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الولاة رسالة بين فيها سياسته العامة وبين فيها عزمه في العودة بالأمة إلى النهج السوي. وهذا نص الرسالة:

أما بعد:

فإني أوصيكم بتقوى الله ولزوم كتابه، والاقتداء بسنة نبيه ﷺ وهديه، فإن الله قد بيَّن لكم ما تأتون وما تتقون، وأعذر لكم في الوصية، وأخذ عليكم الحجة حين أنزل عليكم كتابه الحفيظ، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]، وقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾[2]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[3].

فأقيموا فرائضه، واتبعوا سننه، واعملوا بمحكمه،

---

(١) سورة فصلت، الآية (٤٢).

(٢) سورة الإسراء، الآية (١٠٥).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٥١).

واصبروا أنفسكم عليه، وآمنوا بمتشابهه، فإن الله علمكم منه ما علمكم، وأولكم - يومئذ - أقل الناس شوكةً، وأوهنه قوةً، وأشده فرقة، وأحقره عند من سواهم من الناس مَحْقَرَةً، ليس لهم من الله حظ في الهدى يرجعون به إليه، مع أن الدنيا ومواضع أموالها وعددها وجماعتها ونكايتها في غيرهم.

حتى إذا أراد الله إكرامهم بكتابه ونبيه، بعث إليهم محمداً ﷺ عبداً لله، ورسولَه بالحق بشيراً يبشر بالخير الذي لا خير مثله، وينذر بالشر الذي لا شرَّ مثله.

وأخَّره الله لذلك في القرون، وسماه على لسان من شاء من أنبيائه الذين سبقوا، وأخذ عليهم ميثاق جماعتهم، قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾(١).

فأخَّر الله ذلك لمحمد ﷺ حين بعثه رحمة

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٨١).

للعالمين: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1].

وأحكم الله في كتابه ما رضي من الأمور، فما جعل من ذلك حلالاً فهو حلال إلى يوم القيامة، وما جعل من ذلك حراماً فهو حرام إلى يوم القيامة، وعلَّمه سننه ففهمها، وعمل بها بين ظهري أمته.

فصلى الصلوات لوقتها كما أمره الله[2]..

ثم فرض رسول الله ﷺ الزكاة على أمر الله في العين والحرث والماشية، وبين مواضع ذلك فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3].

حتى استقامت سنتها في الأخذ حين تؤخذ، وفي القسمة حين تقسم، فعمل بها المسلمون في جزيرة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٦).
(٢) جاء في الرسالة هنا تفصيل كامل لأوقات الصلاة، وسبب ذكر ذلك هو تأخير بعض الولاة والخلفاء أوقات الصلاة، وفي مقدمتهم الحجاج..
(٣) سورة التوبة، الآية (٦٠).

العرب، حتى علموها أو كل ذي عقل منهم.

ثم غزا رسول الله ﷺ بنفسه غير مرة، وأغزى الجيوش والسرايا، يقسم إذا كان حاضراً، ويأمر من تولى أمر جيوشه وسراياه بالذي أمر الله به من قسم ما أفاء الله عليه وعليهم، فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

ثم أمره الله في الحج بما أمره[٢]..

ثم أفاء الله على رسوله محمد ﷺ أموال قرئ لم يُوجَف عليها خيل ولا ركاب..[٣].

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٤١).

(٢) جاء في الرسالة هنا ذكر آية الحج.

(٣) جاء في الرسالة هنا تفصيل كامل لكيفية توزيع الفيء، ومن هم أصحاب الاستحقاق فيه، والذي دعى إلى ذكر ذلك أن هذه الأموال كانت ملكاً للخليفة يتصرف بها كيف يشاء، فأراد عمر أن يعلمهم مصارفها لأنه عازم على إعادة الحق إلى نصابه.

ففي الذي علمكم الله من كتابه، والذي سنَّ رسول الله ﷺ من السنن التي لم تدع شيئاً من دينكم ولا دنياكم نعمةٌ عظيمةٌ، وحق واجب في شكر الله كما هداكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

فليس لأحد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ أمر ولا رأي، إلا إنفاذه والمجاهدة عليه.

وأما ما حدث من الأمور التي تبتلى الأئمة بها مما لم يحكمه القرآن، ولا سنة النبي ﷺ فإن والي أمر المسلمين وإمام عامتهم، لا يُقدَّم فيها بين يديه، ولا يُقضى فيها دونه، وعلى من دونه رفع ذلك إليه، والتسليم لما قضى.

وقد أحببت في كتابي هذا أن تعرفوا الحال التي كنتم عليها قبل نزول كتاب الله وسنة نبيه من الضلالة والعمى وضنك المعيشة، والذي أيَّد الله لكم من الكرامة والنصر والعافية والجماعة. وسلب لكم مما كان في يد غيركم مما لم تكونوا لتسلبوه بقوتكم، لو وكَلَّكم إلى أنفسكم.

كان قد شرط ذلك للمؤمنين، وأعطاهم إياه إذ شرط عليهم شرطه، فقد وفاكم الله ما شرط لكم، وهو آخذ بما اشترط عليكم، قال:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾[١].

فقد أنجز الله لكم وعده، فأنجزوا دَين الله في رقابكم، أن يكفر كافر بنعمة الله، أو ينسى بلاءه، فيجده على الله هيناً، ويطول خلوده فيما لا طاقة له به.

ثم إني أحببت أن يعلم من كان جاهلاً من أمري، والذي أنا عليه، مما لم أكن أريد به النطق في يومي هذا، حتى رأيت أن النطق ببعضه هو أقرب إلى الصلاح في عاجل الأمر وآجله، للذي قد أفضى إليَّ من الأمر: وأنا أعلم من كتاب الله، وسنة نبيه عليه

---

(١) سورة النور، الآية (٥٥).

السلام، وما سلف عليه أمر الأئمة بين يدي، علماً من الله علمنيه من لم يكن له شغل عنه.

وقد كان شغلي والذي كتب الله أن ابتلى به عاملاً منه بما علمت، أو قاصراً منه على ما قصرت، فما كان من خير علمته فبتعليم الله ودلالته، وإلى الله أرغب في بركته، وما كان عندي من غير ذلك من داء الذنوب، فأسأل الله العظيم تجاوزه عني بمغفرته.

فلعمري ما ازددت علماً بالولاية، إلا ازددت لها مخافة، ومنها وجلاً، ولها إعظاماً، حتى قدر الله لي منها، وقدر عليَّ ما قدر، فأنا أشد ما كنت لها استثقالاً، ثم أحسن الله حميد أعواني وعاقبتي، وعاقبة من ولاني أمره، فأصلح أمرهم، وجمع كلمتهم، وبسط عليَّ من نعمه وعليهم، ما لم يكن دعائي ولا دعاؤهم ليبلغه، عند الله به ثوابي وعنده به جزائي من صلاح عامتهم، وأداء حقوقهم إليهم، والعفو عن ذي الذنب منهم.

وقد أعطاني من ذلك ـ وله الحمد ـ في عاجل من الدنيا، وجماعة من الشمل، وصلاح ذات البين،

وسعة في الرزق، ونصر على الأعداء، وكفاية حسنة، حتى أغنى لأهل كل ذي جانب من المسلمين جانبهم، ووسع عليهم الرزق.

ولا يرى أهل كل ناحية إلا أنهم أفضل قسماً فيما بسط الله لهم من رزقه ونعمه من أهل الناحية الأخرى.

فإن تعرفوا نعمة الله عليكم، وتشكروا فضله، فأحرِصْ بي على ذلك، وأحببْ به إليَّ. قد يعلم الله كيف دعائي بذلك وكيف حرصي عليه علانية، وإن يجهل ذلك جاهل أو يقصر عنه رأيه، فإن الذي حرصت عليه أن أحملكم عليه من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، هو حجتي في الدنيا، وبغيتي فيما بعد الموت، ولا تلبسوا ذلك بغيره وإياكم أن يتشبه في أنفسكم ما حملتكم عليه من كتاب الله وسنة نبيه.

فمن كان سائلاً عن الذي في نفسي، وعن بغيتي في أمر أمة محمد ﷺ، فإن الذي في نفسي وبغيتي منه ـ والحمد لله رب العالمين ـ: أن تتبعوا كتاب الله وسنة نبيه، وأن تجتنبوا ما مالت به الأهواء، والزيغ البعيد.

ومن عمل بغيرهما فلا كرامة ولا رفعة له في الدنيا والأخرى.

وليعلم من عسى أن يُذكر له ذلك، أنَّ لعمري أن تموت نفسي أول نفس، أحب إلي من أن أحملهم على غير اتباع كتاب ربهم وسنة نبيهم، التي عاش عليها من عاش، وتوفاه الله عليها حين توفاه، إلا أن يأتي عليَّ من ذلك أمر، وأنا حريص على اتباعه.

وإن أهون الناس علي تلفاً وحزناً، لَمَنْ عسى أن يريد خلاف شيء من تلك السنة، وذلك الأمر الذي رفَعَنا ونحن بمنزلة الوضيعة، وأكرمنا ونحن بمنزلة الهوان، وأعزنا ونحن بمنزلة الذل.

معاذ الله أن نستبدل بذلك غيره، ومعاذ الله من أن نتقي أحداً، فإذا تكلمتم في مجالسكم، أو ناجى الرجل أخاه، فليذكر هذا الأمر الذي حضضتكم عليه من إحياء كتاب الله وسنة نبيه. وترك ما خالف ذلك. فإنه ليس بعد الحق إلا الباطل، ولا بعد البصر إلا العمى.

وليحذر قوم الضلالة بعد الهدى، والعمى بعد البصر، فإنه قال لقوم صالح:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾[١].

اتبعوا ما تؤمرون به، واجتنبوا ما تنهون عنه، ولا يعرِّض أحدكم بنفسه، فإنه ليس لي في دنياكم ـ والحمد لله ـ رغبة، لا في ما في يدي منها، ولا ما في أيديكم، وليس عندي مع ذلك صبر على انتقاص شيء من كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، ولا استبقاء لمن خالف ـ والحمد لله ـ ولا نعمة عين.

ولعمري إن من يعمل ذلك منكم، لحقيق أن يظن بامرئ لا حاجة له في دنياكم، ولا صبر له على زيغكم عن دينكم، ولجاجتكم فيما لا خير لكم فيه، أنه جرأ على هراقة دم من انتقص كتاب الله أو زاغ عن دينه، وسنة نبيه محمد رسول الله ﷺ.

هذا نحو من الذي قِبَلي، قد بينته لكم، ولعمري لتخلصنَّ جماعتكم أيها الجند وخياركم مما يكره من الأمور، ولتَتَّبِعُنَّ أحسن ما توعظون به إن شاء الله.

أسأل الله برحمته وسعة فضله، أن يزيد المهتدي

---

(١) سورة فصلت، الآية (١٧).

هدى، وأن يراجع بالمسيء التوبة، في عافية منه، وأن يحكم على من أراد خلاف كتابه وسنة نبيه عليه السلام، بحكم يغلب به في خاصته، ويعجله له، فإنه على ذلك قادر، وأنا إليه فيه راغب، ويحسن عاقبة العامة، ولا يعذبنا بذنب المسيء. والسلام عليكم ورحمة الله[1].

رسالة إلى أمراء الأجناد

كتب عمر بن عبد العزيز:

من عبد الله عمر بن عبد العزيز، أمير المؤمنين إلى أمراء الأجناد.

أما بعد:

فإنه من ابتلي بالسلطان تحضره مكاره كثيرة، وبلايا عظام، إن غابت عنه يوماً فهي حرية أن تحضره في اليوم الآخر.

وإنه ليس أحد بأشغل عن نفسه، ولا أكثر تعرضاً لزيغ من ولي السلطان، إلا ما عافى الله ورحم.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، ابن عبد الحكم ص٥٩ ـ ٦٧.

فاتقِ الله ما استطعت، واذكر منزلك الذي أنت به، والذي حُمِّلت، فقاتل هواك كما تقاتل عدوك، واصبر نفسك عند ما كرهت، ابتغاء ما عند الله من حسن ثوابه الذي وُعِد المتقون فيما بعد الموت. والذي وعدكم على التقوى والصبر من النجاة في عاجل الأمر وآجله.

فإذا حضرك الخصم الجاهل الخَرِق، ممن قدر الله أن يوليك أمره، وأن تبتلى به، فرأيت منه سوء رِعَة، وسوء سيرة في الحق عليه والحظ له، فسدِّده ما استطعت وبصِّره، وارفق به وعلِّمه، فإن اهتدى وأبصر وعلم، كانت نعمةً من الله وفضلاً، وإن هو لم يبصر ولم يعلم، كانت حجة اتخذت بها عليه.

فإن رأيت أنه أتى ذنباً استحل فيه عقوبة، فلا تعاقبه بغضب من نفسك عليه، ولكن عاقبه وأنت تتحرى الحق في قدر ذنبه بالغاً ما بلغ، وإن لم يبلغ ذلك إلا قدر جلدة واحدة تجلده إياها.

وإن كان ذنبه فوق ذلك، ورأيت عليه من العقوبة في ذلك قتلاً فما دونه، فارجعه إلى السجن، ولا يسرعنَّ بك إلى عقوبته حضور من يحضرك، فإنه لعمري ربما عاقب الإمام لمحضر جلسائه، ولتأديب

أهل بلده، ولتغامزهم به، وما من إمام له جلساء إلا سيكون ذلك فيهم. وما من قوم يسمعون بقضاء إمام إلا سيختلفون فيه على أهوائهم، إلا من رحم الله. فإن من رحم الله لا يختلفون في قضاء. فإنه قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1] وإن استجهلت فتثبت.

وإذا نظر إليك من حولك ما أنت فاعل بسفيه من رعيتك إن سفه وأخطأ حظه، فاعمد في ذلك للذي ترى أنه أبرُّ وأتقى، وخيرٌ لك غداً فيما بعد الموت. ولا يطربك نظرهم إليك ولا حديثهم عنك، فإنه لا يبقى في أنفسهم حديث أحبوه ولا كرهوه إلا قليلاً إلا أبدوه.

فاغتنم كل يوم أخرجك الله فيه سالماً، وكل ليلة مضت عليك وأنت فيها كذلك، وأكثر دعاء الله بالعافية لنفسك، ولمن ولاَّك الله أمره، فإن لك في صلاحهم ما ليس لأحد منهم، وإن عليك في فساد الرجل الواحد فما فوق ذلك ما ليس على أحد منهم.

ولا تبتغ منهم جزاء خير أحسنته إليهم، ولا

---

(١) سورة هود، الآية (١١٨ ـ ١١٩).

تسديدِ سدَّدتهم، ولا تطلب بعمل صالح عملته فيهم جزاء ولا ثواباً، ولا مدحة ولا حظوة، وليكن ذلك لمن لا يعطي الخير ولا يصرف السوء غيره.

ثم تعاهد صاحب بابك، وصاحب حرسك، وعاملك المقيم عندك، والذين تبعث، فلا يعملون في شيء بما تحت يديك بغشم ولا ظلم، وأكثر المسألة عنهم، فمن كان منهم محسناً نفعه ذلك، ومن كان منهم مسيئاً استبدلت به من هو خير منه.

نسأل الله ربنا برحمته وقدرته على خلقه، أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن ييسر لنا أمورنا، وأن يشرح لنا صدورنا بالبر والتقوى، والعمل فيما يحب ويرضى. وأن يعصمنا من المكاره كلها، وأن يجعلنا من الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ومن المتقين الذين لهم العاقبة، والسلام عليك ورحمة الله[١].

رسالة في الشرائع

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي:

إن للإسلام سنناً وفرائض وشرائع، فمن

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الحكم ص٦٨ ـ ٧٠.

استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. فإن أعش أبيِّنها لكم لتعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص[1].

رسالة في التزام السنة

كتب عمر إلى عامل له:

أما بعد:

فإني أوصيك بتقوى الله، واتباع سنة رسوله، والاقتصاد في أمره، وترك ما أحدث المحدثون بعده، ممن قد حارب سنته، وكفوا مؤنته.

ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها، فعليك لزوم السنة، فإنه إنما سنًّها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل، والحمق والخطأ والتعمق.

ولَهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وعلى العمل الشديد أشد، وإنما كان عملهم على الأسَدِّ[2]،

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٢٥.

(٢) الأسدّ: أفعل تفضيل من السداد، وهو الاستقامة والصواب من القول والعمل.

ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل، لكانوا فيه أحرى، وإليه أجرى، لأنهم السابقون إلى كل خير.

فإن قلت: قد حدث بعدهم خير، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين، وحاد عن طريقهم، ورغبت نفسه عنهم. ولقد تكلموا منه ما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي.

فأين؟ لا أين!! فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم غير محسن، ولقد قصر أقوام دينهم فخفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا[1].

رسالة إلى ابنه عبد الملك

كتب عمر في العام الذي استخلف فيه إلى ابنه عبد الملك وكان إذ ذاك بالمدينة:

أما بعد:

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٤١.
وقال ابن كثير تعقيباً على هذه الرسالة:
فرحم الله ابن عبد العزيز، ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة، ومحبة ما كان عليه الصحابة، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم؟ فرحمه الله وعفا عنه.

فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي أنت، وإن أحق من رعى ذلك وحفظه عني أنت.

وإن الله تعالى، له الحمد، قد أحسن إلينا إحساناً كثيراً بالغاً، في لطيف أمرنا وعامته، وعلى الله إتمام ما غبر من النعمة. وإياه نسأل العون على شكرها.

فاذكر فضل الله على أبيك وعليك، ثم أعن أباك على ما قوي عليه، وعلى ما ظننت أن عنده منه عجزاً عن العمل، فيما أنعم به عليه وعليك في ذلك.

فراع نفسك وشبابك وصحتك، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله حمداً وتسبيحاً وتهليلاً فافعل، فإن أحسن ما وصلت به حديثاً حسناً حمد الله وذكره، وإن أحسن ما قطعت به حديثاً سيئاً حمد الله وذكره.

ولا تفتنن فيما أنعم الله به عليك فيما عسيت أن تقرظ[1] به أباك فيما ليس فيه.

إن أباك كان بين ظهراني إخوته عند أبيه، يفضل

---

(١) التقريظ: مدح الإنسان ـ وهو حي ـ بحق أو باطل.

عليه الكبير، ويدني دونه الصغير، وإن كان الله ـ وله الحمد ـ قد رزقني من والدي حسباً جميلاً، كنت به راضياً، أرى أفضل الذي يبره ولده علي حقاً، حتى ولدت وولد طائفة من إخوتك، ولا أخرج بكم من المنزل الذي أنا فيه.

فمن كان راغباً في الجنة، وهارباً من النار، فالآن في هذه الحالة والتوبة مقبولة، والذنب مغفور قبل نفاد الأجل، وانقضاء العمل، وفراغ من الله للثقلين ليدنيهم بأعمالهم في موطن لا تقبل فيه الفدية، ولا تنفع فيه المعذرة، تبرز فيه الخفيات، وتبطل فيه الشفاعات، يرِده الناس بأعمالهم، ويصدرون فيه أشتاتاً إلى منازلهم.

فطوبى يومئذ لمن أطاع الله، وويل يومئذ لمن عصى الله، فإن ابتلاك الله بغنى فاقتصد في غناك، وضع لله نفسك[1]، وأدِ إلى الله فرائض حقه في مالك، وقل عند ذلك، ما قال العبد الصالح: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ الآية[2].

---

(١) أي تواضع لله تعالى.

(٢) سورة النمل، الآية (٤٠).

وإياك أن تفخر بقولك، وأن تعجب بنفسك، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامة بك على ربك، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك، فإذا أنت أخطأت باب الشكر، ونزلت منازل أهل الفقر[١] وكنت ممن طغى للغنى، وتعجل طيباته في الحياة الدنيا.

فإني لأعظك بهذا، وإني لكثير الإسراف على نفسي، غير محكم لكثير من أمري. ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم نفسه، ويكمل في الذي خلق له لعبادة ربه، إذاً تواكل الناس الخير، وإذاً يرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستحلت المحارم، وقلَّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض.

فلله الحمد، رب السماوات والأرض، رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم[٢].

---

(١) المقصود بالفقر هنا: الفقر من الحسنات والأعمال الصالحة.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧.

رسالة إلى عامل

قال إسماعيل بن إبراهيم: إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض عماله.

أما بعد:

فإني أوصيك بتقوى الله، ولزوم طاعته، فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه، وبها تحقق لهم ولايته، وبها رافقوا أنبياءهم. وبها نضرت وجوههم، وبها نظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن، والمخرج من كرب يوم القيامة، ولم يقبل ممن بقي إلا بمثل ما رضي عمن مضى، ولمن بقي عبرة فيما مضى، وسنة الله فيهم واحدة.

فبادر بنفسك قبل أن تؤخذ بكظمك، ويخلص إليك ما خلص إلى من كان قبلك، فقد رأيتَ الناس كيف يموتون وكيف يتفرقون، ورأيتَ الموت كيف يعجل التائب توبته وذا الأمل أمله، وذا السلطان سلطانه.

وكفى بالموت موعظة بالغة، وشغلاً عن الدنيا، ومرغباً في الآخرة، فنعوذ بالله من شر الموت وما بعده، ونسأل الله خيره وخير ما بعده.

ولا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضرَّ بآخرتك، فيزري بدينك، ويمقتك عليه ربك.

واعلم أن القدر سيجري إليك برزقك، ويوفيك أملك من دنياك بغير مزيد فيه بحول منك ولا قوة. ولا منقوصاً منه بضعف.

إن أبلاك الله بفقر فتعفف في فقرك، وأخبت لقضاء ربك، واعتبر بما قسم الله لك من الإسلام، ما زوى منك من نعمة الدنيا، فإن في الإسلام خلفاً من الذهب والفضة من الدنيا الفانية.

واعلم أنه لن يضر عبداً صار إلى رضوان الله وإلى الجنة، ما أصابه في الدنيا من فقر أو بلاء، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله وإلى النار، ما أصاب في الدنيا من نعمة أو رخاء، . . . كل شيء من ذلك كأن لم يكن[١].

رسالة إلى أهل الموسم

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم:

---

(١) حلية الأولياء ٥/٢٧٨.

أما بعد:

فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام، ويوم الحج الأكبر، أني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم، أن أكون أمرت بذلك، أو رضيته، أو تعمدته، إلا أن يكون وهماً منيّ، أو أمراً خفي علي لم أتعمده. وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني، مغفوراً لي إذا علم مني الحرص والاجتهاد.

ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني[1]، وأنا معول كل مظلوم.

ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنة، فلا طاعة له عليكم. وقد صيَّرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم.

ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم، ولا أثرة على فقرائكم في شيء من فيئكم.

ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً من هذا الدين، فله ما بين مائتي دينار إلى ثلاثمائة

---

(١) أي إن المظلوم يدخل عليه بغير إذن فبابه مفتوح لذلك.

دينار على قدر ما نوى من الحسنة، وتجشم من المشقة.

رحم الله امرأً لم يتعاظمه سفر يحيي الله به حقاً لمن وراءه.

ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أموراً من الحق أحياها الله لكم، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم، وكان الله هو المتوحد بذلك، فلا تحمدوا غيره. فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري، والسلام[1].

رسالة إلى عدي بن أرطأة

كتب عمر إلى عدي بن أرطأة:

أما بعد:

فإني أذكرك ليلة تمخَّض بالساعة، فصباحها القيامة، يا لها من ليلة، ويا له من صباح كان على الكافرين عسيراً[2].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٢.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص٨٤.

ظلم الناس

عن ضمرة قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:

أما بعد:

فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم، فاذكر قدرة الله تعالى عليك ونفادَ ما تأتي إليهم[١]، وبقاء ما يأتون إليك[٢][٣].

الرضى باليسير

عن الأوزاعي قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة، لم يحفظها غيري وغير مكحول:

أما بعد:

فإنه من أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا

---

(١) نفاد ما تأتي إليهم: أي ذهابه مع مضي وقته، وكل شيء يحدث في الدنيا ماض، فمن أصابه ظلم فإن هذا الظلم سينتهي مع الوقت الذي حدث فيه.

(٢) وبقاء ما يأتون إليك: بقاء مسؤولية هذا الظلم، حيث يحاسب عليه الظالم يوم القيامة.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٣١.

باليسير، ومن عدَّ كلامه من عمله، قلَّ كلامه إلا فيما بنفعه والسلام[1].

أدقَّ قلمك

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم:

أدق قلمك[2]، وقارب بين أسطرك، واجمع حوائجك[3]، فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به، والسلام[4].

رسالة في الإقبال على الإسلام

كتب عدي بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٣.

(٢) كانوا يكتبون بقلم جليل ويمدون الكلمات، وهذا يأخذ من الورق الكثير. فكتب عمر إلى الآفاق: أن لا يكتبن في طومار ـ صحيفة ـ بقلم جليل، ولا يمدن فيه.

(٣) كان ابن حزم كتب له ثلاث حاجات في ثلاثة كتب. فطلب منه أن يجمع الأمور في رسالة واحدة.

(٤) الطبقات ٥/ ٤٠٠ وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٢.

وقد يستغرب القارئ مثل هذا الأمر، ولكنه لو أتيح له أن يعرف كم يوفر مثل هذا الأمر ـ اليسير في ظاهره ـ على الأمة، لوجده أمراً عظيماً. والحساب عند الله سبحانه يوم القيامة على الذرة.

أما بعد: فإن الناس قد كثروا في الإسلام، وخفت أن يقل الخراج.

فكتب إليه عمر:

فهمت كتابك، ووالله لوددت أن الناس كلهم أسلموا، حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا[1].

رسالة في ترميم مدينة

كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز:

أما بعد: فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالاً يرمُّها به فعل.

فكتب إليه عمر:

أما بعد: فقد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت. فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم، فإنه مرمّتها والسلام[2].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣٠٥.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣٠٥.

رسالة بشأن كسوة الكعبة

كتب الحجبة إلى عمر بن عبد العزيز أن يأمر للبيت بكسوة، كما كان يفعل من كان قبله. فكتب إليهم:

إني رأيت أن أجعل ذلك في أكبادٍ جائعة، فإنهم أولى بذلك من البيت(١).

رسالة في الحفاظ على الصلاة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله:

اجتنبوا الاشتغال عند حضرة الصلاة، فمن أضاعها فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشد تضييعاً(٢).

رسالة إلى سالم بن عبد الله

كتب عمر إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سالم بن عبد الله.

---

(١) حلية الأولياء ٥/٣٠٦.

(٢) حلية الأولياء ٥/٣١٦.

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإن الله ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة، من غير مشاورة مني فيها، ولا طلبة مني لها، إلا قضاء الرحمن وقدره، فاسأل الذي ابتلاني من أمر هذه الأمة بما ابتلاني أن يعينني على ما ولاني، وأن يرزقني منهم السمع والطاعة وحسن مؤازرة، وأن يرزقهم مني الرأفة والمعدلة.

فإذا أتاك كتابي هذا، فابعث إلي بكتب عمر بن الخطاب وسيرته، وقضاياه في أهل القبلة وأهل العهد. فإني متبع أثر عمر وسيرته، إن أعانني الله على ذلك والسلام[1].

رسالة بشأن أهل الكوفة

كتب عمر إلى عبد الحميد صاحب الكوفة:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٤.

أما بعد:

فإن أهل الكوفة قوم قد أصابهم بلاء وشدة، وجور في أحكام الله، وسنن خبيثة سنها عليهم عمال سوء، وإن قوام الدين العدل والإحسان.

فلا يكونن شيء أهمُّ إليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله، فإنه لا قليل من الإثم[1]، وأمرك أن تطرز أرضهم[2]. ولا تحمل خراباً على عامر، ولا عامراً على خراب، وإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله[3].

رسالة: لا تضرّ بآخرتك

كتب عمر إلى أخ له في الله عز وجل، فكان في كتابه:

لا تطلبنَّ شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضر بآخرتك، ويزري بدينك، ويمقتك عليه ربك.

---

(١) بمعنى أن لفظ الإثم يدل على القليل والكثير. فهو إثم مهما كان شأنه.

(٢) تطرز: بمعنى ضبط حدودها وبيان شكلها.

(٣) حلية الأولياء ٥/٢٨٦.

واعلم أن القدر سيجري إليك برزقك، ويوفيك أكلك من دنياك، غير متزيد فيه بحول منك ولا قوة، ولا منتقص منه بضعف.

إن ابتلاك الله عزَّ وجلَّ بفقر فتعفف في فقرك، وأخبت لقضاء ربك، واغتفر بما قسم الله لك من الإسلام، ما زوى عنك من نعمة دنياك، فإن في الإسلام خلفاً من الذهب والفضة والدنيا الفانية.

واعلم أنه لا يضر عبداً صار إلى رضوان الله وإلى الجنة، ما أصاب في الدنيا من فقر وبلاء، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله وإلى النار، ما أصاب من نعمة أو رخاء.

ما يجد أهل الجنة من مكروه أصابهم في دنياهم، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم، كأن شيئاً من ذلك لم يكن(١).

رسالة: كأني جُنة لك

كتب عمر بن العزيز إلى عبد الحميد ـ عامله على الكوفة ـ.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص١٨٢.

جاءني كتابك تذكر أن قبلك قوماً من العمال قد اختانوا مالاً فهو عندهم، وتستأذنني في أن أبسط يدك عليهم.

فالعجب منك في استثمارك إياي في عذاب بشر، كأني جنة لك، وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله، فإذا جاءك كتابي هذا، فانظر من أقرَّ منهم بشيء فخذه بالذي أقر به على نفسه، ومن أنكر فاستحلفه وخلِّ سبيله، فلعمري لأن يلقوا الله بخياناتهم، أحب إلي من أن ألقى الله بدمائهم. والسلام[1].

رسالة في الحمد والشكر

كتب بعض عمال عمر: يا أمير المؤمنين، إني بأرض قد كثر فيها النعم، حتى لقد أشفقت على من قبلي من أهلها ضعف الشكر.

فكتب إليه عمر.

إني قد كنت أراك أعلم بالله مما أنت، إن الله لم ينعم على عبد نعمة، فحمد الله عليها إلا كان حمده

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٥.

أفضل من نعمه[1]، لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾[2] وأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان؟

وقال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[3] وأي نعمة أفضل من دخول الجنة[4].

رسالة تحذير

كتب عمر إلى بعض عماله:

أما بعد: فاتقِ الله فيمن وليت أمره، ولا تأمن مكره[5] في تأخير عقوبته، فإنه إنما يعجل العقوبة من

---

(١) أي كان الحمد أفضل من الشكر، فالحمد أعم من الشكر، ومن حمد فقد شكر.

(٢) سورة النمل، الآية (١٥).

(٣) سورة الزمر، الآيات (٧٣ ـ ٧٥).

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٣.

(٥) الضمير عائد على لفظ الجلالة، أي: مكر الله.

يخاف الفوت[١] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢].

رسالة بشأن الزلازل

عن جعفر بن برقان قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز.

إن هذا الرجف[٣] شيء يعاقب الله به العباد، وقد كتبت إلى أهل الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا، في شهر كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا.

فاخرجوا، ومن أراد منكم أن يتصدق فليفعل، فإن الله تعالى قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥)﴾[٤].

وقولوا كما قال أبوكم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٥].

---

(١) أي يعجل العقوبة من يخاف أن يفلت منه المعاقب. ولكن أين المفر والإله الطالب.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣٠٤.

(٣) الرجف: الزلزلة التي ترجف الأرض منها.

(٤) سورة الأعلى، الآية (١٤، ١٥).

(٥) سورة الأعراف، الآية (٢٣).

وقولوا كما قال نوح: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِي﴾[2].

وقولوا كما قال ذو النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3][4].

رسالة بشأن خاتم

بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى فصّاً بألف درهم، فتختم به.

فكتب إليه عمر:

عزيمة مني إليك، لَمَا بعت الفصَّ الذي اشتريت بألف درهم، وتصدقت بثمنه، واشتريت فصًّا بدرهم واحد، ونقشت عليه: رحم الله امرأً عرف قدره. والسلام[5].

---

(١) سورة هود، الآية (٤٧).
(٢) سورة القصص، الآية (١٦).
(٣) سورة الأنبياء، الآية (٨٧).
(٤) حلية الأولياء ٥/ ٣٠٤.
(٥) حلية الأولياء ٥/ ٣٠٦.

رسالة في حرمة الدماء

كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحب له ـ وكان عمر ولاهما شيئاً من أمر العراق ـ فكتبا إليه يعرضان له: أن الناس لا يصلحهم إلا السيف.

فكتب إليهما.

خبيثين من الخبث، رديئين من الردى، تعرضان لي بدماء المسلمين، ما أحد من الناس إلا ودماؤكما أهون عليَّ من دمه[١].

رسالة لشراء عبد

كتب عمر إلى محمد بن كعب القرظي يسأله أن يبيعه غلامه سالماً ـ وكان عابداً خيراً ـ.

فقال: إني قد دبرته[٢].

قال: فأزرنيه[٣]. قال: فأتاه سالم.

---

(١) حلية الأولياء ٥/٣٠٧.

(٢) دبر عبده: أي أعتقه وجعل عتقه معلقاً بموته ـ موت السيد ـ.

(٣) أي ابعثه إلي زائراً.

فقال له عمر: إني قد ابتليت بما ترى، وإني - والله - أتخوف أن لا أنجو.

قال سالم: إن كنت كما تقول فهي نجاتك[1]، وإلا فهو الأمر الذي تخاف.

قال له: يا سالم، عظنا.

قال: آدم عمل خطيئة واحدة، فأخرج بها من الجنة، وأنتم تعملون الخطايا، ترجون أن تدخلوا بها الجنة[2].

رسالة إلى مؤدب ولده

كتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده:

من عبد الله عمر، أمير المؤمنين إلى سهل مولاه.

أما بعد:

فإني اخترتك على علم مني بك، لتأديب ولدي،

---

(١) أي خوفك سيكون سبب نجاتك، فالخوف باعث على الاستقامة.

(٢) حلية الأولياء ٥/٣٢٩.

فصرفتُهم إليك عن غيرك من مواليَّ وذوي الخاصة بي.

فحدثهم بالجفاء، فهو أمعن لإقدامهم[1].

وتركِ الصحبة، فإن عادتها[2] تكسب الغفلة.

وقلةِ الضحك، فإن كثرته تميت القلب.

وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بِدْؤُها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم: أن حضور المعازف واستماع الأغاني، واللهج بها، ينبت النفاق في القلب، كما ينبت العشبَ الماءُ.

ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن، أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه.

وهو حين يفارقها لا يعتقد[3] مما سمعت أذناه على شيء مما ينتفع به.

---

(١) المقصود بالجفاء هو ما فسرة بترك الصحبة. بمعنى أن لا تلغى الحواجز بين المربي والتلميذ الأمر الذي يؤدي إلى عدم الجدية في الأمر لو حصلت هذه الصحبة.

(٢) أي اعتيادها.

(٣) لا يعتقد: أي لا يكون أو لا يستقر.

وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن، يتثبت في قراءته.

فإذا فرغ تناول قوسه ونبله، وخرج إلى الغرض حافياً، فرمى سبعة أرشاق، ثم انصرف إلى القائلة[1]. فإن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول: يا بني قيلوا فإن الشياطين لا تقيل[2].

رسالة إلى بعض عماله

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:

أما بعد:

فكأن العباد قد عادوا إلى الله تعالى، ثم ينبئهم بما عملوا، ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فإنه لا معقب لحكمه، ولا ينازع في أمره، ولا يقاطع في حقه الذي استحفظه عباده وأوصاهم به.

وإني أوصيك بتقوى الله، وأحثك على الشكر

---

(١) أي القيلولة.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص٢٢١.

فيما اصطنع عندك من نعمة، وآتاك من كرامة، فإن نعمه يمدها شكره، ويقطها كفره.

أكثر ذكر الموت الذي لا تدري متى يغشاك، ولا مناص ولا فوت، وأكثر من ذكر يوم القيامة وشدته، فإن ذلك يدعوك إلى الزهادة فيما زهدت فيه، والرغبة فيما رغبت فيه، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل، فإن من لا يحذر ذلك ولا يتخوفه توشك الصرعة أن تدركه في الغفلة.

وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به، ثم اقتصر عليه، فإن فيه ـ لعمري ـ شغلا عن دنياك.

ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل، ولا الحق حتى تذر الباطل، فنسأل الله لنا ولك حسن معونته، وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه برحمته[١].

رسالة إلى عمر بن الوليد بن عبد الملك

تظلم نصراني إلى عمر بن عبد العزيز في أرض أخذها منه العباس بن الوليد بن عبد الملك، فأمر عمر العباس أن يرد الأرض إلى النصراني.

---

(١) حلية الأولياء ٥/٢٦٨.

فبلغ ذلك أخاه عمر بن الوليد فكتب إلى عمر بن عبد العزيز:

إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، وعبت عليهم، وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم، وشنئاً لمن بعدهم من أولادهم، قطعت ما أمر الله به أن يوصل، إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم، فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً، ولن تترك على هذا.

فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتابه كتب إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد.

السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. أما بعد:

فإنه بلغني كتابك، وسأجيبك بنحو منه[1].

أما أول شأنك ـ يا ابنَ الوليد ـ كما زُعِمَ، فأمك «بنانةُ» أمة السكون، كانت تطوف في سوق حمص،

---

(١) ليس من عادة عمر أن يكتب بهذا الأسلوب، وإنما كان ذلك بما يتناسب مع رسالة عمر بن الوليد.

وتدخل وتدور في حوانيتها، ثم الله أعلم بها، اشتراها ذبيان من فيء المسلمين، فأهداها لأبيك، فحملت بك، فبئس المحمول، وبئس المولود.

ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً، تزعم أني من الظالمين، لما حرمتك وأهل بيتك فيء الله عز وجل، الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل.

وإن أظلم مني، وأترك لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين، تحكم فيهم برأيك، ولم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده. فويل لك وويل لأبيك، ما أكثر خصماءكما يوم القيامة. وكيف ينجو أبوك من خصمائه؟

وإن أظلم مني، وأترك لعهد الله، من استعمل الحجاج بن يوسف، يسفك الدم الحرام، ويأخذ المال الحرام.

وإن أظلم مني، وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك[1] أعرابياً جافياً على مصر، أذن له في المعازف واللهو والشرب.

---

(١) هو قرة بن شريك القيسي أمير مصر، وكان عسوفاً ظلوماً، =

وإن أظلم مني، وأترك لعهد الله، من جعل لعالية البربريه سهماً من خمس العرب.

فرويداً يا ابن بنانة، فلو التقى حلقتا البطان[1]، ورُدَّ الفيء إلى أهله، لتفرغت لك ولأهل بيتك، فوضعتهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق، وأخذتم في بنيات الطريق[2].

ومن وراء هذا، ما أرجو أن أكون رأيته، بيع رقبتك[3]، وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين

= قيل: كان إذا انصرف الصناع من بناء جامع مصر، دخله فدعا بالخمر والملاهي ويقول: لنا الليل ولهم النهار.

قال عمر بن عبد العزيز: الوليد بالشام، وقرة بمصر، والحجاج بالعراق، وعثمان بن حيان بالحجاز، امتلأت الأرض ـ والله ـ جوراً. ترك شريك حكم مصر سنة ست وتسعين (شذرات الذهب ١/ ١١١).

(١) حلقتا البطان: البطان للقتب: الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير. يقال: التقت حلقتا البطان: للأمر إذا اشتد.

(٢) بنيات الطريق: هي الطرق الصغار تتشعب من الجادة.

(٣) وهذا تلميح من عمر بن عبد العزيز بالشك في نسب عمر بن الوليد، وأنه رقيق ولد على فراش الوليد. ولعل العز بن عبد السلام حينما قام على بيع الأمراء المماليك في مصر قد استفاد الفكرة من هذا القول لعمر بن عبد العزيز.

والأرامل. فإن لكل فيك حقاً. والسلام علينا. ولا ينال سلام الله الظالمين[1].

رسالة في العدل

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:

إن قدرت أن تكون في العدل والإحسان والإصلاح. كقدر من كان قبلك في الجور والعدوان والظلم، فافعل، ولا حول ولا قوة إلا بالله[2].

رسالة في الدعوة إلى الإسلام

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على خراسان، الجراح بن عبد الله الحكمي، يأمره أن يدعو أهل الجزية إلى الإسلام، فإن أسلموا قَبِلَ إسلامهم، ووضع عنهم الجزية. وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٨٢ وسيرة عمر لابن الجوزي ص٩٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨٣. وهذا يدل على حجم المظالم التي كانت قبله. قال إسحاق بن عبد الله: ما زال عمر يرد المظالم من لدن معاوية إلى أن استخلف. أخرج من أيدي ورثة معاوية ويزيد بن معاوية حقوقاً [طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٢].

فقال له رجل من أشراف أهل خراسان: إنه والله ما يدعوهم إلى الإسلام إلا أن توضع عنهم الجزية، فامتحنهم بالختان.

فقال عمر: أنا أردهم عن الإسلام بالختان؟ هم لو قد أسلموا فحسن إسلامهم كانوا إلى الطهرة أسرع[(١)].

فأسلم على يده نحو أربعة آلاف[(٢)].

رسالة دعاء بطلب الشهادة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى سليمان بن أبي كريمة:

إن أحق العباد بإجلال الله والخشية منه، من ابتلاه بمثل ما ابتلاني به، ولا أحد أشد حساباً، ولا أهون على الله ـ إن عصاه ـ مني، فقد ضاق بما أنا فيه ذرعي. وخفت أن تكون منزلتي التي أنا بها هلاكاً لي، إلا أن يتداركني الله منه برحمة.

---

(١) رضي الله عن عمر بن عبد العزيز، فما زالت قضية الختان عثرة في وجه بعض من تتوجه قلوبهم إلى الإسلام، وربما لم يجدوا من يفتيهم بإمكان غض النظر عن هذا الأمر، لضيق الأفق وقلة العلم.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/٣٨٦.

وقد بلغني أنك تريد الخروج في سبيل الله، فأحب يا أخي إذا أخذت موقفك أن تدعو الله أن يرزقني الشهادة، فإن حالي شديدة، وخطري عظيم.

فأسأل الله الذي ابتلاني بما ابتلاني به أن يرحمني ويعفو عني[1].

رسالة بشأن السجون

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمراء الأجناد:

وانظروا من في السجون، ممن قام عليه الحق، فلا تحبسه حتى تقيمه عليه، ومن أشكل أمره فاكتب إلي فيه.

واستوثق من أهل الذعارات[2] فإن الحبس لهم نكال.

ولا تَعَدَّ في العقوبة[3].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٩٥.

(٢) الذعارات: ذعره، أفزعه، والمراد: أصحاب الجنايات من قتل وسرقة وزنى وشرب خمر..

(٣) ولا تَعَدَّ: أي تتعدى في العقوبة وتتجاوز المقدار المحدد لها.

وتعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال.

وإذا حبست قوماً في دَيْن، فلا تجمع بينهم وبين أهل الذعارات في بيت واحد، ولا حبس واحد[1].

واجعل للنساء حبساً على حدة.

وانظر من تجعل على حبسك ممن تثق به، ومن لا يرتشي، فإن من ارتشى صنع ما أُمِرَ به[2].

رسالة بشأن الصلاة والخطبة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى واليه ـ عثمان بن سعد ـ على دمشق:

إذا صليت بهم فأسمعهم قراءتك، وإذا خطبتهم فأفهمهم موعظتك[3].

رسالة إنما يقتل من سبّ النبي

كتب عبد الحميد إلى عمر:

إنه رفع إليَّ رجل يسبُّك، فهممت أن أضرب

---

(١) وفي هذا غاية الحكمة، فالرجل الذي حبس بدين لزمه، يختلف عن الرجل القاتل أو السارق.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٥٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٦١.

عنقه، فحبسته وكتبت إليك لأستطلع في ذلك رأيك.

فكتب إليه:

أما إنك لو قتلته لأقدتك به، إنه لا يقتل أحد بسبِّ أحد إلا من سب النبي ﷺ، فاسببه إن شئت، أو خلِّ سبيله[1].

بلاء وافق خطيئة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة:

أما بعد:

فإني كتبت إليك بكتب كثيرة، أرجو بذلك الخير من الله تعالى والثواب عليه، وأنهاك فيها عن أمور الحجاج بن يوسف، وأرغب عنها وعن اقتدائك بها.

فإن الحجاج كان بلاء وافق خطيئة قوم بأعمالهم، فبلغ الله عز وجل في مدته ما أحب من ذلك، ثم انقطع ذلك، وأقبلت عافية الله عز وجل، فلو لم يكن ذلك إلا يوماً واحداً أو جمعة واحدة، كان ذلك عطاء من الله عز وجل.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٦٩.

ونهيتك عن فعله في الصلاة، فإنه كان يؤخرها تأخيراً لا يحلُّ له.

ونهيتك عن فعله في الزكاة، فإنه كان يأخذها في غير حقها ثم يسيء مواقعها.

فاجتنب ذلك منه واحذر العمل به، فإن الله عز وجل قد أراح منه، وطهر العباد والبلاد من شره، والسلام[1].

رسالة النظر في المظالم

عن أبي بكر بن حزم قال: كتب إلي عمر:

أن استبرئ الدواوين[2]، فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهد فردَّه عليه، فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا، فادفعه إلى ورثتهم[3].

---

(١) عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص٧١ ـ ٧٢.

(٢) استبرئ: استبرأ الخبر: تقصى أثره، والمراد الدقة في النظر والبحث.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٢.

رسالة في سياسة الأمور والقضاء

كتب عمر إلى ابن حزم:

إياك والجلوس في بيتك، اخرج للناس، فآسِ[1] بينهم في المجلس والمنظر[2]، ولا يكن أحد من الناس آثر عندك من أحد، ولا تقولنَّ هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين، فإن بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء، بل أنا أحرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم، وإذا أشكل عليك شيء فاكتب إلي فيه[3].

رسالة الإصلاح الهرمي

كتب عمر إلى عدي:

إن العرفاء من عشائرهم بمكان، فانظر عرفاء الجند، فمن رضيت أمانته لنا ولقومه فأثبته، ومن لم تَرْضَه فاستبدل به من هو خير منه، وأبلغ في الأمانة والورع[4].

---

(١) آسِ: أي سوِّ بينهم.

(٢) المنظر: المراد النظر إليهم، أي تكون نظرة القاضي إلى الخصمين واحدة.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/٣٤٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/٣٩٦.

رسالة رد على تعزية

كتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز، يعزيه عن ابنه عبد الملك. فكتب إليه عمر:

كتبت إلي تعزيني عن ابني عبد الملك، وهو أمر لم أزل أنتظره، فلما وقع لم أنكره[1].

رسالة في الورع

كتب عمر إلى الجراح بن عبد الله الحكمي:

إن استطعت أن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين ما حرم الله عليك فافعل، فإن من استوعب الحلال كله تاقت نفسه إلى الحرام[2].

من لم يصلحه العدل

قال يحيى الغساني: لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل، قدمتها فوجدتها من أكبر البلاد سرقاً ونقباً، فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد وأسأله: آخذ الناس بالمظنة وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه عادة الناس؟

---

(١) البيان والتبيين ٢/ ١٩٢.

(٢) البيان والتبيين ٣/ ١٧٠.

فكتب إلي:

أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة. فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله.

قال يحيى: ففعلت ذلك، فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد، وأقله سرقاً ونقباً[1].

رسالة الدعاء للإمام

كتب عمر بن عبد العزيز:

لا تخصوني بشيء من الدعاء، ادعوا للمؤمنين والمؤمنات عامة، فإن أكن منهم أدخل فيهم[2].

رسالة في مسؤولية العامل

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على الجزيرة، فكان فيما كتب له:

وكن لمن ولاك الله أمره ناصحاً فيما تعيب عليهم من أمورهم، ساتراً لما استطعت من عوراتهم، إلا شيئاً أبداه الله لا يصلح ستره.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٧١.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٧٨.

وتمسك نفسك عنهم إذا غضبت وإذا رضيت، حتى يكون ذلك فيما بينك وبينهم مستوياً حسناً جميلاً.

لا تبتغينَّ لحقّ أديته إليهم، ولا لخير سدَّدتهم له، منهم حظاً ولا مدحة، وليكن ذاك لمن لا يعطي الخير إلا هو، ولا يصرف السوء إلا هو.

واغتنم كل يوم وليلة مضت عليك وأنت سالم[1].

رسالة لا ملجأ من الله إلا إليه

كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم:

أما بعد:

فكن عبداً ناصحاً لله في عباده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم.

فلا تولينَّ شيئاً من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم، والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعي، وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق،

---

(١) عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١١٨.

فإن الله لا تخفى عليه خافية، ولا تذهبنَّ عن الله مذهباً، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه[1].

رسالة إلى ولي العهد

أمر عمر كاتبه أن يكتب: أما بعد:

يا يزيد فاتق الصرعة عند الغفلة، فلا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة، وتترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتنقلب إلى من لا يعذرك والسلام[2].

رسالة إلى متوفى

بلغ عمر أن أخاً من إخوانه مات، ثم بلغه خلاف ذلك، فكتب إليه:

أما بعد:

فقد بلغنا خبر رِيع له إخوانك، ثم أتانا تكذيب ما بلغنا.

فأنعم بذلك أن يسرنا، وإن كان السرور بذلك وشيك الانقطاع، يتبعه عن قليل تصديق الخبر الأول.

---

(١) البداية والنهاية ٩/١٩٩.

(٢) عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم ص١٠٣.

فهل أنت يا عبد الله إلا كرجل ذاق الموت، ثم سأل الرجعة فأسعف بطلبته، فهو متأهب مبادر مصرٌّ في جهازه بأقل ما يسره من ماله، إلى دار قراره، لا يرى أن له من ماله شيئاً إلا ما قدم أمامه.

فإن المغبون في الدنيا والآخرة، من اجتمع له مال قليل أو كثير، ثم لم يكن له منه شيء.

ولم يزل الليل والنهار سريعين في نفاذ الأيام، وطيِّ الآجال، ونقص العمر، ولا يزالان على ذلك يفنيان ويبليان ما مرّا به.

هيهات! قد صحبا نوحاً وهوداً وقروناً بين ذلك كثيراً، فأضحوا قد لحقوا بربهم، ووردوا على أعمالهم، فأصبح الليل والنهار غضين جديدين، ولم يبلهما أحدٌ أفنياه، ولم يفنهما من مرّا به، ومستعدين لمن بقي بمثل ما أصابا به من مضى.

وإنك اليوم شريف ناسٍ كثيرٍ من ضربائك وقرنائك، فهل أنت إلا كرجل قطعت أعضاؤه عضواً عضواً، فلم يبقَ إلا حشاشة نفسه، فهو ينتظر الداعي لها صباحاً ومساءً.

فنستغفر الله لسيئ أعمالنا، ونعوذ به من مقته إيانا

على ما نعظ به أنفسنا، والسلام[١].

رسالة الصدقة والموعظة

كتب عمر إلى القرظي:

أما بعد:

فقد بلغني كتابك، تعظني وتذكر ما هو لي حظ وعليك حق، وقد أصبت بذلك أفضل الأجر.

إن الموعظة كالصدقة، بل هي أعظم أجراً، وأبقى نفعاً، وأحسن ذكراً، وأوجب على المرء المؤمن حقاً.

لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه، ليزداد بها في هدى رغبة، خير من مال يتصدق به عليه، وإن كان به إليه حاجة.

ولَمَا يدرك أخوك بموعظتك من الهدى، خير مما ينال بصدقتك من الدنيا، ولأن ينجو رجل بموعظتك من هلكة، خير من أن ينجو بصدقتك من فقر.

فعظ من تعظه لقضاء حق عليك، واستعمل

---

(١) ابن عبد الحكم ص١٠٧.

كذلك نفسك حين تعظ. وكن كالطبيب المجرب العالم الذي قد علم أنه إذا وضع الدواء حيث لا ينبغي، أعنته وأعنت نفسه، وإذا أمسكه من حيث ينبغي جهل وأثم.

وإذا أراد أن يداوي مجنوناً، لم يداوِه وهو مرسل، حتى يستوثق منه ويوثق له، خشية أن لا يبلغ منه من الخير، ما يتقي منه من الشر، وكان طبه وتجربته مفتاح عمله.

واعلم أنه لم يجعل المفتاح على الباب لكيما يغلق فلا يفتح، أو ليفتح فلا يغلق، ولكن ليغلق في حينه، ويفتح في حينه، والسلام[1].

---

(١) ابن عبد الحكم ص١١٢.

(٤)

المناظرات

لجأ عمر بن عبد العزيز إلى أسلوب الحوار مع الفرق التي أقلقت المسلمين، وقد كان له من قوة الحجة ما استطاع به أن يقنع المنصفين، ويتغلب على المعاندين.

ونكتفي بذكر أمثلة من ذلك.

(١)

دخل ناس من الحرورية على عمر بن عبد العزيز، فذاكروه شيئاً.

فأشار بعض جلسائه أن يرعبهم ويتغير عليهم.

فلم يزل عمر يرفق بهم حتى أخذ عليهم، ورضوا منه أن يرزقهم ويكسوهم ما بقي. فخرجوا على ذلك.

فلما خرجوا، ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه وقال:

يا فلان إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك دون الكي، فلا تكوينَّه أبداً[١].

---

(١) عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ص٧٦.

(٢)

دخل رجلان من الخوارج على عمر فقالا: السلام عليك يا إنسان.

فقال: وعليكما السلام يا إنسانان.

قالا: طاعة الله أحق ما اتبعت.

قال: من جهل ضل.

قالا: الأموال لا تكون دولة بين الأغنياء.

قال: قد حرموها.

قالا: مال الله يقسم على أهله.

قال: الله بين في كتابه تفصيل ذلك.

قالا: تقام الصلاة لوقتها.

قال: هو من حقها.

قالا: إقامة الصفوف في الصلوات.

قال: هو من تمام السنة.

قالا: إن بعثنا إليك.

قال: بلغا ولا تهابا.

قالا: ضع الحق بين الناس.

قال: الله أمر به قبلكما.

قالا: لا حكم إلا لله.

قال: كلمة حق إن لم تبتغوا بها باطلاً.

قالا: ائتمن الأمناء.

قال: هم أعواني.

قالا: احذر الخيانة.

قال: السارق محدود.

قالا: فالخمر ولحم الخنزير.

قال: أهل الشرك أحق به.

قالا: فمن دخل في الإسلام فقد أمن.

قال: لولا الإسلام ما أمنا.

قالا: أهل عهود رسول الله ﷺ.

قال: لهم عهودهم.

قالا: لا تكلفهم فوق طاقتهم.

قال: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

قالا: خرّب الكنائس.

قال: هي من صلاح رعيتي.

قالا: ذكِّرنا القرآن.

قال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾.

قالا: تردنا إلى من أرسلنا.

قال: ما أحبسكما.

قالا: فما نقول لإخواننا؟

قال: ما رأيتما وسمعتما.

قالا: تردنا على دواب البريد.

قال: لا، هو مال الله لا نطيبه لكما.

قالا: فليس معنا نفقة.

قال: أنتما إذن أبناء سبيل، علي نفقتكما[١].

(٣)

قال يحيى الغساني: بلغني أن ناساً من الحرورية تجمعوا بناحية الموصل. فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز أعلمه بذلك.

---

(١) ابن عبد الحكم ص١٤٢.

فكتب إلي أن أرسل إلي رجالاً من أهل الجدل، وأعطهم رهناً، وخذ منهم رهناً، واحملهم على مراكب من البريد إلي.

ففعلت ذلك، فقدموا عليه، فلم يدع لهم حجة إلا كسرها.

فقالوا: لسنا نجيبك حتى تكفر أهل بيتك، وتلعنهم وتبرأ منهم.

فقال عمر: إن الله لم يجعلني لعاناً، ولكن إن أبقى أنا وأنتم فسوف أحملكم وإياهم على المحجة البيضاء.

فأبوا أن يقبلوا ذلك منه.

فقال لهم عمر: إنه لا يسعكم في دينكم إلا الصدق. مذ كم دنتم بهذا الدين؟

قالوا: مذ كذا وكذا سنة.

قال: فهل لعنتم فرعون وتبرأتم منه؟

قالوا: لا.

قال: فكيف وسعكم تركه، ولا يسعني ترك أهل بيتي وقد كان فيهم المحسن والمسيء، والمصيب والمخطئ؟

قالوا: قد بلغنا ما ها هنا[1].

(٤)

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رأس الخوارج بسطام رسالة جاء فيها:

إنه بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيه، ولست بأولى بذلك مني، فهلم أناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا.

فكتب بسطام إلى عمر: قد أنصفت، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك.

وعندما حضر الرجلان كانت الحجة لعمر عليهم..

فقالا له: أخبرنا عن يزيد، لمَ تقره خليفة بعدك؟

قال: صيَّره غيري.

قالا: أفرأيت لو وليت مالاً لغيرك، ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أتراك أديت الأمانة إلى من ائتمنك؟

---

(١) حلية الأولياء ٥/٣٠٩.

فقال: أنظراني ثلاثاً.

وقد خاف بنو مروان أن يخلع يزيد، فدسوا له سماً فلم يلبث أن توفي رحمه الله[1].

(1) التاريخ الإسلامي. للأستاذ محمود شاكر ٤/٢٤٨.

مِنَ المَـراجِع

١ ـ حلية الأولياء للحافظ الأصبهاني: دار الكتب العلمية، بيروت.
٢ ـ سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي. مؤسسة الرسالة ط١.
٣ ـ البداية والنهاية: للإمام ابن كثير ط١ عام ١٩٦٦م.
٤ ـ طبقات ابن سعد: دار بيروت. بيروت.
٥ ـ البيان والتبيين: تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل لبنان.
٦ ـ العقد الفريد: دار إحياء التراث العربي. بيروت.
٧ ـ صفة الصفوة: للإمام ابن الجوزي. دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٨ ـ إحياء علوم الدين: للإمام الغزالي، دار المعرفة ـ بيروت.
٩ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز: ابن عبد الحكم. تحقيق أحمد عبيد. مكتبة وهبة. القاهرة.
١٠ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز. للإمام ابن الجوزي.
١١ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز. عبد الستار الشيخ. دار القلم بدمشق.
١٢ ـ الطبقات الكبرى، للشعراني، مكتبة محمد علي صبيح. القاهرة.

كتب للمؤلف

١ ـ الجامع بين الصحيحين (٤ ملجدات).

٢ ـ زوائد السنن على الصحيحين (٦ مجلدات).

٣ ـ من معين السيرة.

٤ ـ من معين الشمائل.

٥ ـ السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة).

٦ ـ أضواء على دراسة السيرة.

٧ ـ هكذا فهم السلف.

٨ ـ أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال).

٩ ـ الإمام الغزالي (سلسلة أعلام المسلمين).

١٠ ـ الفرائض فقهاً وحساباً.

١١ ـ الفن الإسلامي (التزام وإبداع).

١٢ ـ دراسة جمالية في ثلاثة أجزاء.

أ ـ الظاهرة الجمالية في الإسلام.

ب ـ ميادين الجمال.

ج ـ التربية الجمالية في الإسلام.

١٣ ـ تحقيق الجمع بين الصحيحين للموصلي (في مجلدين).

١٤ ـ تحقيق المواهب اللدنية للقسطلاني (٤ مجلدات).

١٥ ـ تحقيق رسالة شرح المعرفة للمحاسبي.

١٦ ـ المهذب من إحياء علوم الدين (في مجلدين).

١٧ ـ تقريب طريق الهجرتين، للإمام ابن القيم.

المحتوى